

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة مولود معمري، تيزي-وزو

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة العربية وآدابها



الميدان: لغة وأدب عربي

الفرع: دراسات لغوية

التخصص: لسانيات تطبيقية

مذكرة الماستر

الملكة اللغوية عند كل من "ابن خلدون"

و "مالك بن نبي"

-دراسة مقارنة-

الموضوع:

إشراف الأستاذ : محمد قاضي

إعداد الطالبتين: - سي محمد سيلية

-حريادي فهيمة

لجنة المناقشة

- د. جميلة راجح، أستاذة محاضرة (أ)، جامعة مولود معمري، تيزي-وزو رئيسا.
أ. محمد قاضي، أستاذ مساعد (أ)، كلية العلوم الإسلامية جامعة الجزائر 1 مشرفا ومقررا.
أ. سعيد عامر، أستاذ مساعد (أ)، جامعة مولود معمري، تيزي-وزو ممتحنا.

السنة الدراسية: 2019م/2020م.-

شكر وتقدير

الحمد لله الذي أمانني على كتابة هذا البحث
وإنجازه، وحلى الله على النبي المصطفى الذي
بذكره تتم الصالحات، وبعد:
عن أبي هريرة قال: "قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم: لا يشكر الله من لا يشكر الناس"
فإنني أتوجه بالشكر لكل من كان عوناً لي في إنجاز
هذا البحث وإتمامه على هذه الصورة التي أرجو أن
تكون عند حسن ظنكم.
وأخص بالشكر المناضل "قاضي محمد" المشرف على
هذه المذكرة لما قدمه من متابعة وتوجيه.
كما أتوجه بالشكر الجزيل إلى الأستاذة "عربي
حسيبة" لما قدمته لنا من توجيه وعون.
ولا يفوتني أن أشكر مكتبة جامعة مولود معمري،
تيزي-وزو، وكل من ساعدني من قريب ومن بعد.
شكراً لكم.

-سليمة-

شكر وتقدير

الحمد لله الذي أنار لنا درب العلم والمعرفة وأعاننا
على أداء هذا الواجب، ووفّقنا إلى إنجاز هذا
البحث

والشكر الجزيل لكل من ساعدنا من قريب ومن
بعيد

ولكل من ساعدنا على إذلال الصّعوبات التي
واجهتنا

وأخصّ بالذكر المشرف "محمد قاضي" الذي لم
يبخل علينا بتوجيهاته ونصائحه القيّمة، التي كانت
عوناً لنا

فجزاه الله خيراً، وله منّا كلّ التّقدير والاحترام
كما أتوجّه بالشّكر الجزيل إلى كلّ الأساتذة الكرام
الذين مهّدوا لنا طريق العلم والمعرفة

فلكم منّا كلّ التّقدير

وكما يقال "كن عالماً، فإن لم تستطع فكن متعلّماً،
فإن لم تستطع فأحبّ العلماء، فإن لم تستطع فلا
تبغضهم.

إهداء

إلى من كان سندا لي، وشمعة احترقت لتضيئ، وما تزال
تضيء، دريبي: إلى أبي "محمد سعيد" حفظه الله
وأطال الله في عمره

إلى نبج العنان الذي ناديني ليكون مع الرفيق الأعلى
كما تقتضي سنته في خلقه: إلى روح أمي "باهية" رحمها
الله وأسكنها جناته

إلى من أمسك بيدي ليخوض غمار الحياة إلى جانبي
إلى زوجي العزيز وعائلته الكريمة
إلى من قاسمني الضحكة والدمعة
إخوتي وأخواتي حفظهم الله

إلى أساتذتي الكرام

زملائي وزميلاتي

إلى كل من ساندني ولو بكلمة طيبة
إليكم جميعا أهدي هذا العمل المتواضع.

-سليمة-

إهداء

إلى من علمني القيم والأخلاق، ربي تغمدك برحمته

إلى روح جدي رحمه الله

إلى من بسمتها غايتي، وما تحدث أقدامها جنيتي

إلى أمي الغالية حفظك الله وورثك

إلى من لا ينفصل اسمي عن اسمه، ومصدر الدعم

والعطاء

إلى أبي الغالي حفظك الله وأدامك تاجا على رأسي

إلى نجوم سمائي المتلألئة أخي وأخواتي

إلى الملائكة والنفوس البريئة: رياض، أيمن، نريمان

وفرح

إلى كل الأصدقاء الذين عرفتهم خلال مشواري

الدراسي

إلى العزيزة على قلبي من قاسمتني مسيرة بحثي "سيلية"

-فهيمة-



مقدمة

مقدمة: يتناول هذا البحث الملكة اللغوية بمفهومها وموقف اللغويين العرب والغرب من عملية بناء الملكة وتكوينها، فيقصد بالملكة الصفة الراسخة في النفس، أو هي تعبير إنساني يختلف من شخص لآخر، ويختلف حتى في اللغة الواحدة، ورغم اختلاف هذه اللغات والتعابير إلا أنه يعبر عن نفس الغاية.

وإذا أردنا تعريف الملكة، فلا نجد لها تعريفا واحدا موحدًا شاملاً، إذ لها عدة تعاريف متنوعة، تعكس مدى تعقيدها وعمق أفكارها، وصعوبة الإحاطة بها.

إشكالية البحث: إن السؤال الذي يطرح نفسه في هذا البحث يتمثل في: ماذا يقصد بالملكة اللغوية؟ وما هي آليات اكتسابها؟ ثم كيف تناول كل من "ابن خلدون" و"مالك بن نبي" الملكة اللغوية؟ وهل بينها تقارب في وجهتي نظرهما أم أنّ لكل منهما اتجاهاً يختلف عما ذهب إليه الآخر؟

أسباب اختيار الموضوع: ومن أهم الأسباب التي دفعتنا للبحث في هذا الموضوع نذكر:

1. الأهمية الكبرى التي يحتلها موضوع الملكة اللغوية في مجال اكتساب اللغة.
2. التعرف على ماهية الملكة اللغوية والاطلاع على الجهود التي بذلها كل من "ابن خلدون" و"مالك بن نبي".

بنية البحث: لقد اقتضت طبيعة هذا البحث تقسيمه إلى قسمين وفق المنهجية العلمية التي يتطلبها البحث كالتالي:

- القسم النظري: ركزنا فيه على أهم المفاهيم والزوايا النظرية الخاصة بموضوع البحث، وقسمناه حسب متطلبات العنوان إلى فصلين، يتناول الفصل الأول مفهوم الملكة واللغة لغة واصطلاحاً، كما يتناول موضوع الملكة اللغوية ومفهومها قديماً وحديثاً، وعليه جاء الفصل تحت عنوان "قراءة المصطلح (الملكة اللغوية)".

• القسم التطبيقي: وهو يمثل الفصل الثاني من البحث والذي وضعناه تحت عنوان (مقارنة بين "ابن خلدون" و"مالك بن نبي" في الملكة اللغوية) وفيه نجد نبذة عن حياة كلٍّ منهما مع أهم أعمالهما، ثم تطرقنا إلى نظرتهما للملكة اللغوية، وكذلك قمنا بعرض أوجه التشابه والاختلاف بينهما.

وفي الأخير تأتي الخاتمة التي رصدنا فيها أهم النتائج المتوصل إليها، والتي كانت حوصلة لما عرضناه وذكرناه في هذا البحث.

منهج البحث: اعتمدنا في هذا البحث على منهجين فرضتهما طبيعة البحث، ويتمثلان في كل من المنهج التاريخي، والمنهج الوصفي التحليلي.

فالجزة النظري تطلب المنهج التاريخي الذي تتبعنا خلاله المفاهيم والتعريفات التي وضعها أهل اللغة، وبالتالي تتبعنا التطورات التي حصلت في المفاهيم عبر التاريخ، إضافة إلى إلقاء نظرة على السيرة الذاتية والعلمية لكل من "ابن خلدون" و"مالك بن نبي".

وأما الجزء التطبيقي فقد اقتضى منا الوصف والتحليل لما جاء به "ابن خلدون" و"مالك بن نبي" وبالتالي تدخل المنهج المقارن والذي قارنا به بين العالمين وبيننا أوجه التشابه والاختلاف في ما ذهبنا إليه من آراء ومواقف حول الملكة اللغوية واكتساب اللغة.

صعوبات البحث: لا يخلو أي بحث من جملة العوائق والصعوبات التي تصادفه مثل ما واجهتنا في هذه المرحلة، والتي تمثلت في صعوبة الحصول على المراجع والمصادر بسبب ما عشناه من حجر صحي في ظل جائحة الكورونا، حيث أغلقت المكتبات والجامعات، إضافة إلى كثرة البحوث المتعلقة بمالك بن نبي وحول موضوع الملكة اللغوية، مما أدى إلى تشابه المعلومات، فصعب علينا انتقاء المناسبة منها لبحثنا هذا.

وفي الأخير نرجو أن يكون هذا البحث مفيدا للقارئ وإضافة له، نسأل الله التوفيق

وشكرا.



الفصل الأول

قراءة في مصطلح "الملكة اللغوية"

أولاً: مفهوم الملكة

ثانياً: مفهوم اللغة

ثالثاً: مفهوم الملكة اللغوية



أولاً: مفهوم الملكة

1. التعريف اللغوي

لقد استخلص المعجميون الحديث في المدلول اللساني لمصطلح "الملكة" واتفقوا في نهاية المطاف على دلالة القوة والاستبداد في تفسير لغوي شامل لهذا المصطلح؛ حيث ورد في معجم "لسان العرب" لابن منظور قائلاً: "(ملك) الليث: الملك في الله تعالى، وتقدس ملك الملوك له الملك وهو مالك يوم الدين، وهو مليك الخلق، والمُلك معروف وهو يذكر ويؤنث كالسلطان، وملك الله تعالى وملكوته سلطانه وعظمته، المُلْك والمَلِك والمَلِيك والمَالِك ذو المُلْك ومَلِك ومَلِك، مثال: فَخَذِ وَفَخَذِ، وَمَلَكَةٌ وَمَمْلَكَةٌ وَمَمْلِكَةٌ كَذَلِكَ"¹ ويقال ملكه المال والملك، فهو مملك، حيث قال "الفرزدق" في حال "هشام بن عبد الملك":

وما مثله في الناس إلا مُمَلِّكاً أبو أمّه حيّ أبوه يقاربه

والملك: ما ملكت اليد من مال وحول، والملكة: ملكك²

كما نجد في "القاموس المحيط" للفيروز أبادي يقول: "مَلَكَهُ يَمْلِكُهُ مَلِكًا مُتَلَثَّةً، وَمَلَكَةٌ مُحَرَكَةٌ وَمَمْلَكَةٌ، بضم اللام أو يثلاث: احتواه قادرا على الاستبداد به، وماله مَلِكٌ مُتَلَثًا ويحرك، وبضمّتين: شيء يملكه، وأملكه الشيء، ومَلَكَهُ إِيَّاهُ تَمْلِيكًا: بمعنى ولي في الوادي مَلِكٌ، مُتَلَثًا ويحرك: مرعى ومشرب ومال، أو هي البئر يحفرها وينفرد بها. والماء مَلِكٌ أَمْرٌ، ومَلَكْنَا الماء: أروانا. وهذا مَلِكٌ يميني، متلثة، ومَلَكَةٌ يميني، وأعطاني من مَلِكِهِ متلثة، مما يقدر عليه، ومَلِكُ الوليِّ المرأة: هو حضره إِيَّاهُ"³

¹. ابن منظور، لسان العرب، مج 14، دار صادر، بيروت: 2000م، ط1، مادة (ملك).

². المرجع نفسه، مادة (ملك).

³. الفيروز أبادي، القاموس المحيط، تح: مكتب تحقيق التراث، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، بيروت: 2005م، ط8، ص954.

أما في "مختار الصحاح" فكان كالاتي:

م.ل.ك (مَلَكُهُ) يملكه بالكسر (مَلِكًا) بكسر الميم، وهذا الشّيء (مَلِكٌ) يميني، و(مَلِكٌ) يميني والفتح أفصح. و(مَلِكٌ) المرأة تزوّجها. ويقال ما في (مَلِكُهُ) شيء وما في (مَلِكِهِ) شيء، وما في (مَلَكْتَهُ) شيء بفتحين، أي لا يملك شيئاً، وفلان حسنٌ (المَلَكَةُ) أي حسن الصنّيع إلى (مَمَالِيكِهِ).¹

إضافة إلى هذا، تظهر مادة (ملك) في "معجم الوسيط" على النحو التالي:

"(مَلِكٌ) الشيء ملكا: حازه وانفرد بالتّصرف فيه، فهو مالِكٌ. (أَمْلَكُهُ) الشّيء جعله ملكا له، ويقال: أَمْلَكْتُ فلانة أمرها: طَلَّقْتُ، أو جُعِلَ أمر طلاقها بيدها، وأَمْلَكُ فلانا المرأة: زوّجه إيّاها.

و(تَمَالَكٌ) عن الشّيء: ملك نفسه عنه فلم يتناوله، ويقال: (ما تَمَالَكُ أن فعل كذا) ما

تماسك عن فعله، و(هذا حائظ لا يتمالك) لا يتماسك فهو معرّض للسقوط، (المالِك):

أبو مالِك: كنية الكِبَرِ والسِّنِّ. (الملكة): صفة راسخة في النّفس أو استعداد عقلي خاص،

لتناول أعمال معيّنة بحذق ومهارة، مثل المَلَكَةُ العديدة والملكة اللّغوية".²

وفي ذات الصّد يتوجّه "ابن فارس" قائلا: الميم واللام والكاف أصل صحيح يدل على

قوة في الشّيء وصحته.

يقال: أملك عجينة قوى عجنه وشده، وملك الشّيء: قويته، والأصل هذا ثم قيل ملك

الإنسان الشّيء يملكه ملكا، والاسم الملك، لأنّ يده فيه قويته صحيحة فالملك ما ملك من

مال والمملوك العبد، وفلان حسن الملكة أي حسن الصنّيع إلى مماليكه، وعبد مملكة شيء

ولم يملك أبواه وما لفلان مولى ملاكه دون الله تعالى أي ثم يملكه إلا هو، وكنا في إملك

¹. محمّد بن أبي بكر بن عبد القادر الزازي، مختار الصّاح، مكتبة لبنان، بيروت: 1986م، مادة (ملك)

². المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، ط4، 2005م، مادة (ملك)،

فلان، أي أملكناه امرأته وأملكناه مثل ملكناه والملك الماء يكون مع المسافر لأنه إذا كان معه ملك أمره¹

الملاحظ على التفسير اللغوي في قول "ابن فارس" إفادته بأن المعنى الكلي للكلمة يتجلى في القوة والاستبداد بالشيء الأخير الذي له علاقة بتطور هذا المصطلح عند الدارسين، مما يؤكد الأثر الكبير في صياغة مصطلحات متعددة للتعبير عن المصطلح. وقد ورد ذكر "الملكة" في القرآن الكريم في مواضع مختلفة وبمعان متعددة، نحو في قوله تعالى: ﴿فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾²

قال "ابن جنّي" في كتابه (المحتسب) بخصوص قراءة هذه الآية: ومن ذلك قراءة طلحة وإبراهيم التيمي والأعمش: "ملكة كل شيء" قال أبو الفتح معناه -والله أعلم- سبحان الذي بيده عصمة كل شيء وقدرة كل شيء وهو من ملكت العجين إذا أجدت عجنه، فقويته بذلك ومنه الملك، لأنه القدرة على المملوك، ومنه الملك لأنّ به قوام الأمور والملكوت فعلوت منه، زادوا الواو والتاء للمبالغة بزيادة اللفظ³

2. التعريف الاصطلاحي

تحدّث علماءنا القدامى بشكل من الأشكال عن الملكات تلميحا أو تفصيلا، وخاصة في مجال اللغة والنحو والبلاغة واللّسان، وربطوها بالسليقة والطّبع والفطرة والصنّاعة والمهارة والكفاءة والدّوق.

ويعرّفها "الشّريف الجرجاني" على النّحو التّالي: "الملكة هي صفة راسخة في النّفس، فالنّفس تحصل لها هيئة بسبب فعل من الأفعال، ويقال لتلك الهيئة النفسانية، وتسمّى حالة ما دامت

¹. ينظر: ابن فارس، مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر، دط، ج5، ص352.

². سورة يس، الآية : 83.

³. ينظر، ابن جنّي، المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، تح: علي النّجد ناصف، عبد الفتاح إسماعيل، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة: 1994، دط، ج2، ص218.

سريعة الزوال، فإذا تكررت ومارستها النفس حتى رسخت تلك الكيفية فيها وصارت بطيئة، فتصير ملكة، وبالقياص إلى ذلك الفعل عادة خلقاً¹

فالملكة بناءً على هذا القول تعني أنها حالة مستمرة وبطيئة راسخة في نفس الإنسان، وتتبنى على أفعال مكررة إلى أن تتحوّل الملكة إلى عادة وخلق وصناعة.

كما عرّفها "ابن خلدون" بأنها السليقة والسجية الفطرية، والحدس اللغوي وإنتاج اللغة الأم، وبالتالي ترتبط الملكة عند "ابن خلدون" بالملكة البلاغية واللغوية ليس إلا.

فالملكة بمفهومها العام عنده صفة راسخة في النفس تتم نتيجة استعمال العمل وتكراره مرّات عديدة، فهذا التكرار حدّده "ابن خلدون" في مواطن عدّة من مقدّمته، ومن خلال حديثه عن مفهوم الملكة، يوضّح الفرق بينهما وبين الطبع؛ إذ يقول: "ولذلك يظن كثير من المغفلين ممّن لم يعرف شأن الملكات أن الصّواب للعرب في لغتهم إعراباً وبلاغة أمر طبيعي، ويقول كانت تتطّق بالطبع وليس كذلك، وإنّما هي ملكة لسانية في نظم الكلام تمكّنت ورسخت فظهرت في بادئ الرّأي أنّها وطبعه."²

قول "ابن خلدون" هذا يوضّح أنّ الملكة فعل اختياري غير غريزي أو فطري؛ حيث ذكر مجموعة من الملكات الرّئيسة منها:

- ملكة الفهم.

- ملكة الحفظ.

- ملكة الدّوق.

¹. ينظر: شريف الجرجاني، كتاب التّعريفات، دار الكتب العلمية، بيروت: 1985م، دط، ص193.

². ينظر: عبد الرّحمان ابن خلدون، المقدّمة، دراسة أحمد الزعبي، دار الهدى للطباعة والنّشر، الجزائر: دت، دط، ص632.

حيث تصل هذه الملكة باللّغة والبيان والبلاغة والنحو وعلوم الآداب حفظا وفهما، ومن هنا لا بدّ أن تترسّخ الملكات في نفوس المتعلّمين بالمران والدّربة والمجاهدة، حتّى تترسّخ في نفوسهم، وتصبح مطبوعة وفطرية وسليقية.

كما تحدّث "الفارابي" بشأن الملكة، ويرى أنّها تحدث بموجب التّكرار والاعتیاد وبشكل اختياري؛ حيث يقول: "... ثمّ للملكات الحاصلة من اعتیاد تلك الأفعال من أخلاق وصناعات..."¹ ويؤكد في قوله هذا أنّ الملكة لا تتمّ بدفعة واحدة، وإنّما هي تتابع وتعاقب لمدة طويلة.

إضافة إلى هذا يعبر "أبو حيان التّوحيدي" عن مصطلح الملكة بالعادة ويقول: أنّها تكون عن طريق التّكرار، "فيل إنّها العادة" بمعنى ذلك أنّ العادة ترتبط دائما بالتّكرار، فلا يمكن أن نطبّق عادة معيّنة إذا لم نكرّها لأكثر من مرة.

وتعني الملكة لدى "إخوان الصفا" الحذق والمهارة والرّسوخ في الشّيء، والمداومة المران والتّكرار، ويعني هذا أنّ الملكة مقترنة بالجودة والإتقان والمهارة والإدراك الجيّد للأشياء، ويضاف إلى ذلك أنّ من أهمّ خطوات التّعلّم نذكر: الحفظ، المحاكاة، التّكرار، وأخيرا التّجريب.

وقد اصطلح "إخوان الصفا" على مفهوم الملكة بالعادة؛ حيث يرون أنّ الملكة مهارة تكون فيها الأخلاق والصناعات، ولا تكون إلّا نتيجة تحصيل حاصل للممارسة الدائمة؛ حيث يعبرون عن هذا بقولهم: "... واعلم أنّ العادات الجارية بالمداومة على البحث عنها والدّرس لها والمذاكرة فيها يقوي الحذق بها، والرّسوخ فيها، وهكذا المداومة على استعمال الصناعات والتّدريب فيها يقوي الحذق بها والأستاذية.

¹. الفارابي، الحروف، تح: محسن مهدي، دار المشرق، بيروت: 1970م، ص135.

ثانياً: مفهوم اللّغة

منذ نشأ الخلق وبداية الكون كانت اللغة هي وسيلة التواصل بين البشر فاعتمدت اللغة على كل ما هو منطوق والبعض أفاض لغة تعتمد على السلوك واسماها لغة الجسد. وهي تلك الإيحاءات التي ترمز مكبت منطوق بالفعل أما اللغة فهي تساعد على خروج كل مكبوت بالنطق. ومن باب النطق كانت القراءة تحمل أهمية كبيرة في نضوج اللغة وفي تطورها وقدرة الفرد على نطقها، فالطفل من صغره يبدأ بتعلم اللغة ومن خلال التدريب تتولد مهارته بنطق اللغة الصحيح

1. لغة: نجد في معجم الوسيط:

- (لَغَا) في القول - لغوا: أخطأ وقال باطلا. ويقال: لَغَا فلان لغوا: تكلم باللغو. ولَغَا بكذا: تكلم به. وعن الصّواب، وعن الطّريق: مال عنه. والشّيءُ: بَطَلَ.
- (لَغَى) في القول - لَغَا: لَغَا. وبالأمر: أُلِع به. وبالشّيء: لزمه فلم يفارقه. وبالماء والشّراب: أكثر منه وهو مع ذلك لا يروى. والطائر بصوته: نَعَم.
- (أَلَغَى) الشّيء: أَبْطَله. ويقال: أَلَغَى القانون، وفي الحديث: "كان ابن عباس يُلغِي طلاق المُكْرَه"، ويقال: أَلَغَى من العدد كذا: أسقطه.
- (لَاغَاه): مَازحه. ويقال: إِنَّ فَرَسَكَ لَمَلَاغِي الجري: إذا كان جريه غير جري جِدِّ.
- (استلغاه) استنتقه. يقال إذا أردت أن تسمع من الأعراب فاستلغهم. وفلاننا: أرادته على اللغو.
- (الإلغاء): (في النّحو) إبطال عمل العامل لفظاً ومحلاً لإي أفعال القلوب التي تتعدّى إلى مفعولين. تقول العلم نافع علمتُ، والعليم علمتُ نافعُ. وهو حكم جائز لا واجب.

- (اللأغية) ما لا يُعتدّ به ولا يُحصل منه على فائدة ولا نفع. وكلمة لاغية: فاحشة، وفي التنزيل العزيز: ﴿لَا تَسْمَعُ فِيهَا لِأَغِيَةً﴾¹ (ج) اللواغي.
- (اللغا) ما لا يُعتدّ به. يقال: تكلم بـ اللغا. وما لا يحتسب في العدد في الدية والبيع ونحوهما لصغره. وسقط المتاع. والصوت.
- (اللغة) أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم. (ج) لغى، ولغات. ويقال: سمعت لغاتهم: اختلاف كلامهم.
- (اللغو) ما لا يُعتدّ به الكلام وغيره، ولا يحصل منه على فائدة ولا نفع، والكلام يبدر من اللسان ولا يراد معناه. ومنه اللغو في اليمين، وهو ما لا يُعقد عليه القلب، مثل قول القائل: لا والله. وما لا يُحسب في العدد في الدية والبيع ونحوهما لصغره، وسقط المتاع.²
- ويرجع المعنى اللغوي لمصطلح "اللغة" كما ذكرها (ابن منظور) في لسان العرب إلى: "لغا: (اللغو واللغا): السقط وما لا يُعتدّ به من كلام وغيره، ولا يُحصل منه على فائدة ولا نفع"³
- ونجد في القاموس المحيط أنّ: "اللغة أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم" ج: لغات ولغون، ولغا لغوا: تكلم، وخاب، وتريدته: رواها بالدسم. وألغاه: خيبه. واللغو واللغا، كالفتى: السقط، وما لا يُعتدّ به من كلام وغيره، كاللغوى، كسكرى، والشاة لا يُعتدّ بها في المعاملة. ﴿لَا يُوَازِحُكُمْ اللَّهُ بِاللُّغُو﴾⁴ أي: بالإثم في الحلف إذا كفرتم. ولغى في قوله، كسعى ودعا ورضي لغا ولاغية وملغاة: أخطأ. وكلمة لاغية، أي فاحشة. واللغوى: لَعَطَ القِطَا. ولغى به، كرضي، لغا: لهج به، وبالماء: أكثر منه وهو لا يروى مع ذلك، واستلغ العرب: استمع

¹. سورة الغاشية، الآية: 11.

². مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة: 2008م. ط4، ص 831.

³. عبد الفتاح حسن البجة، أصول تدريس العربية بين النظرية والممارسة، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عمان :

2000م. ط1، ص7.

⁴. سورة البقرة، الآية: 225.

لغاتهم من غير مسألة. وقول الجوهري لنباح الكلب: لغوٌ واستشهاده بالبيت باطل. وكلاب في البيت: ابن ربيعة بن عامر لا جمعُ كلبٍ¹

كما يطلق لفظ (اللغة) على اللسان والنطق معا، فقد جاء في لسان العرب مادة (ل.غ.و): "... اللغة: اللسن، لغوةٌ وحذفوا واوها وجمعوها على لغات، كما جمعت على لغون واللغوة النطق، يقال هذه لغتهم التي يلغون بها أي ينطقون بها".²

ورود في قاموس "تاج العروس" أن (اللغة) بالضم، وإنما أطلقه لشهرته، وإن اغترّ البعض بالإطلاق فظنّ الفتح لغةً فلا يُعتدّ بذلك. ولغا لغوا: (خَاب)، وبه فسّر ابن شميل حديث الجمعة: فقد لغا".³

وجاء في القرآن الكريم كلمة (لغو) في أكثر من آية، منها:

قال الله تعالى: ﴿ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾⁴

وقال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴾⁵

وقال عزّ وجلّ: ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ﴾⁶

2. اصطلاحا:

لقد اختلف العلماء في تعريف اللغة ومفهومها، وليس هناك اتفاق شامل على مفهوم محدد للغة، ويرجع سبب كثرة التعريفات وتعددها إلى ارتباط اللغة بكثير من العلوم، وأول من

¹. مكتبة تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، العلامة اللغوي مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي، بيروت: 2005م، ط8، ص1331.

². ابن منظور، لسان العرب، مج 15، دار صادر، بيروت: 1992م، ط1، ص252، مادة (ل.غ.و).

³. محمد مرتضى الحسني الزبيدي، تاج العروس، ج 3، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، الكويت: 2001م، ط1، 462-463.

⁴. سورة مريم، الآية 62.

⁵. سورة المؤمنون، الآية 03.

⁶. سورة الفرقان، الآية 72.

عرّف اللّغة هو "ابن جنّي" (392هـ) في كتابه "الخصائص" حيث قال: "أمّا حدّها أنّها أصوات يعبر بها كلّ قوم عن أغراضهم"¹

وقد يتضمّن هذا التعريف عدّة حقائق تتصل بماهية اللّغة ووظيفتها التّواصلية بين الأفراد والمجتمع، وأنّ هذه الأصوات هي التي تفصل شعبا معيّنا عن شعوب أخرى.

ويعرّفها "ابن خلدون" (808هـ) فيقول: "اعلم أنّ اللّغة في المتعارف هي عبارة المتكلم عن مقصوده، وتلك العبارة فعل لساني ناشئة عن القصد لإفادة المتكلم، فلا بدّ أن تصير ملكة مقرّرة في العضو الفاعل لها وهو اللسان، وهو في كلّ أمة بحسب اصطلاحهم"².

من هنا يتّضح لنا أنّ اللّغة قدرة ذهنية تتكوّن من مجموعة من المعارف اللّغوية بما فيها الأصوات، والمفردات، والقواعد التي تنظّمها جميعا، والتي تنمو في ذهن الفرد الناطق للّغة، فتمكّنه من إنتاج عبارات لغته منطوقة كانت أو مكتوبة، كما تدفعه إلى فهم العبارات التي ينتجها أفراد مجموعته.

كما حظيت اللّغة باهتمام لم يحظ به علم آخر من علوم الأوّلين عند الغرب، فنجد "دي سوسير" الذي عرّفها على أنّها "نظام من الرّموز الاصطلاحية في أذهان الجماعة اللّغوية يحقق التّواصل بينهم، ويكتسبها الفرد سماعا من جماعتهم"³

ومعنى هذا أنّ اللّغة تتكوّن من مجموعة من الرّموز وتكون نظاما متكاملًا، وهي أكثر نظم الرّموز التي يتعامل بها الإنسان، تركيبيا وتعقيبا، ويتّخذها عادة وسيلة للتعبير عن أغراضه، وتحقيق الاتّصال بالآخرين، وذلك بواسطة الكلام والكتابة.

¹. أبو الفتح عثمان بن جنّي، الخصائص، ج1، تح: عبد الحميد هنداوي، بيروت: دت، دار الكتب العلمية، دط، ص87.

². عبد الرّحمان ابن خلدون، المقدّمة، بيروت: 2003م، دار الفكر، ط1، ص565.

³. محمّد داود، العربية ولعم اللّغة الحديث، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، 2001، دط، ص43.

أمّا اللّغة عند "سابير" فقد جعلها وسيلة لتبادل الأفكار والرّغبات، مؤكّداً على أنّها مكتسبة؛ حيث نجد في تعريفه: "وسيلة لتبادل الأفكار والمشاعر والرّغبات، وهي مكتسبة ذات طبيعة تودّي وظيفتها بواسطة نظام من الرّموز المنتجة اختياريًا"¹ وبالتالي فهي أساس الاتّصال الإنساني الاجتماعي، وبدونها يصعب التّعامل والتّفاهم مع الآخرين.

ومن خلال هذه التّعريفات السّابقة، يمكن القول: "أنّ اللّغة أداة اتّصال إنسانية، وهي عبارة عن نظام من الرّموز الصّوتية المكتسبة، التي يتم التّوافق والتّواضع عليها بين أفراد الجماعة اللّغويّة الواحدة، قصد تحقيق فعل التّواصل بينهم".

لقد اختلف الباحثون القدماء والمحدثون في تعريف اللّغة وتحديد مفهومها، ولعلّ أبرز التعريفات التي ظهرت للغة:

- تعريف الموسوعة الفرنسية بأن اللّغة علامات مركبة تولد في الشعور وإحساسات متباينة أو مباشرة أو مخمّنة عن طريق الارتباط، فهي تتحدث عن علامات رمزية متفق عليها.
- ونجد أيضاً في تعريف علماء النّفس بأنّها: "الوسيلة التي يمكن بواسطتها تحليل أي صورة أو فكرة ذهنية إلى أجزائها أو خصائصها التي بها تركيب هذه الصورة مرة أخرى في أذهاننا.
- ويعرف "جون كارل" اللغة بأنّها "ذلك النظام المتشكل من الأصوات اللفظية الاتفاقية وتتابعات هذه الأصوات التي تستخدم"
- ويعرف "جون ديوي" للغة بأنّها "وسيلة اتصال بين أفراد جماعة تتألف بينهم على صعيد واحد"

¹. راتب قاسم عاشور، أساليب تدريس اللغة العربية بين النّظرية والتّطبيق، عمان: 2003م، دار المسير، ط1، ص20.

• أما "ابن جني" فقال "عبارة المتكلم عن مقصود وتلك العبارة فعل لساني".¹

اللغة ألفاظ وتراكيب يتداولها قوم اصطاحوا عليها وبذلك تحقق لهم المفاهيم بالإضافة إلى ذلك توجد أساليب تميز كل لغة عن غيرها كالحذف والاختصار الكناية والاستعارة وغيرها من الأساليب العربية² وهذه الأساليب لها بالغ الأهمية لذلك يجب تعليم اللغة العربية بمنظورها الشامل.

يعتقد أن أول من عرف اللغة من القدماء اللغويين هو أبو الفتح بن جني في كتابه (الخصائص) أما حدها فإنها أصوات يعبر عنها كل قوم عن أغراضهم"³ وهذا التعريف يتضمن أربعة عناصر أساسية وهي أن "اللغة أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم).

والقول بان اللغة العربية أصوات قول في غاية الدقة حيث لم تكشف الأبحاث الحديثة خاصة منها الصوتية عن هذه الحقيقة إلا مؤخرا ويكاد يجمع اللغويون على أن اللغة أصوات وبهذا التعريف يكون ابن جني قد اخرج كلا من الكتابة والإشارة والرمز واللون والأشكال التعبيرية الأخرى من هذا التعريف، وهذا دليل على أن اللغة عند علماء اللغة العربية كانوا يدرسونها منطوقة لا مكتوبة، وهو شأن اللغة الحديث وقد حددت على أنها نظام من الرموز الصوتية.

إن من أقدم التعريفات وأشهرها في التراث العربي هو التعريف الذي وضعه العالم العربي (أبو الفتح بن جني) (ت392هـ) "بأنها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم"⁴ وقد

¹. راتب قاسم عاشور، فنون اللغة العربية أساليب تدريسها بين النظرية والتطبيق، ص1211.

². مساعد بن سليمان الطيار، التفسير اللغوي للقرآن، دار ابن الجوزي، دط، ص36.

³. أبو الفتح عثمان بن جني، الخصائص، ج2، دار الكتب المصرية، ط2، ص33.

⁴. أبو الفتح عثمان بن جني، الخصائص، ج1، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت: دت، دط، ص87.

تتاول هذا التعريف مجموعة من العلماء المعاصرين لكونه يعبر عن التواصل القائم بين الأفراد والمجتمع.

أيضا على ضوء ذلك انتهى إليه الفكر اللغوي الحديث إلى أنّ هذا التعريف يتضمّن عدّة حقائق تتصل بماهية اللّغة ووظيفتها.

كما يعرفها (ابن خلدون) بقوله: "اعلم أنّ اللّغة في المتعارف هي عبارة المتكلم عن مقصوده، وتلك العبارة فعل لساني ناشئة عن القصد لإفادة المتكلم، فلا بدّ أن تصير ملكة مقرّرة في العضو الفاعل لها وهو اللسان، وهو في كل أمة بحسب اصطلاحهم"¹

فهنا يتّضح لنا أنّ اللّغة هي قدرة ذهنية تتكوّن من مجموع المعارف اللغوية، بما فيها المعاني والمفردات والأصوات والقواعد التي تنظّمها جميعا، والتي تتولد وتنمو في ذهن الفرد الناطق للّغة، أو مستعملها، فتمكّنه من إنتاج عبارات لغته كلاما أو كتابة، كما تمكّنه من فهم ما ينتجه أفراد مجموعته من العبارات.

نجد أيضا "تشومسكي" يستند في تعريف اللّغة على ثنائية ناد بها وهي القدرة والأداء بقوله: "اللّغة ملكة فطرية عند المتكلمين بلغة ما لفهم وتكوين جمل نحوية"²

اشتهر التّراث العربي عدّة تعريفات، ومن أشهرها التعريف الذي وضعه العالم العربي "أبو الفتح بن جني" (ت 392هـ) قال: "اللّغة أصوات يعبر بها كلّ قوم عن أغراضهم"³ وقد تتاول هذا التعريف، اللّغة تعبر عن التّواصل القائم بين الأفراد والمجتمع، وأيضا على ضوء ذلك انتهى إليه الفكر اللغوي الحديث، إلّا أن هذا التعريف يتّخذ عدّة حقائق تتصل بماهية اللّغة ووظيفتها.

¹. عبد الرحمان ابن خلدون، المقدمة، بيروت: 2003م، دار الفكر، ط1، ص565.

². حلمي خليل، اللغة والطفل دراسة في ضوء علم اللّغة النفسي، ص48.

³. أبو الفتح عثمان بن جني، الخصائص، تح: عبد الحميد هنداوي، بيروت: دت، دار الكتب العلمية، دط، ص 87.

ضف إلى ما قال عنه ابن جني، نجد تعريف ابن خلدون الذي عرّف اللّغة بقوله: " اعلم أنّ اللّغة في المتعارف هي عبارة المتكلم عن مقصوده، وتلك العبارة فعل لساني ناشئة في العضو الفاعل لها وهو اللسان، وهو في كلّ أمة بحسب اصطلاحهم"¹ فهنا يتّضح لنا أنّ اللّغة هي قدرة ذهنية تتكون من مجموع المعارف والقواعد التي تنظمها جميعاً، والتي تتولّد وتنمو في ذهن الفرد الناطق للغة أو مستعملها، فتمكّنه من إنتاج عبارات لغته كلاماً أو كتابة، كما تمكّنه من فهم ما ينتجه أفراد مجموعته من العبارات.

نجد أيضاً "تشومسكي" يستند في تعريف اللّغة إلى ثنائية ناد بها وهي القدرة والأداء بقوله: "اللّغة ملكة فطرية عند المتكلمين بلغة ما لفهم وتكوين جمل نحوية"² فالقدرة والأداء عند تشومسكي تمثل المعرفة اللغوية التي يولد بها الطّفل، وأنّ أهمّ مقومات القدرة هي معرفة الفرد بالقواعد النحوية، التي تربط المفردات ببعضها البعض في الجملة.

كما يشير "خلف الله" إلى "أنّ اللّغة نظام اصطلاحي مؤلّف من رموز تعبيرية وظيفتها النفسية أن تكون أداة للتّحليل والتّركيب التّصوّرين، ووظيفتها العلمية أن تكون أداة للتّخاطب بين الأفراد"³

ومن خلال هذا القول يتّضح لنا أنّ اللّغة عبارة عن رموز اصطلاحية يتعارف عليها الأفراد أو قوم من الأقوام، وإنّ الرّموز في أيّ لغة كانت تقوم على اختيار اتّفاقي بين هؤلاء الأفراد.

¹. عبد الرحمان ابن خلدون، المقدمة، بيروت: 2003م، دار الفكر، ط1، ص565.

². حلمي خليل، اللغة والطّفل دراسة في ضوء علم اللّغة النفسي، ص48.

³. عبد الحميد سليمان، سيكولوجية اللغة والطّفل، القاهرة: 2003م، دار الفكر العربي، ط1، ص29.

ثالثاً: مفهوم الملكة اللغوية

إنّ اللغة باعتبارها ظاهرة اجتماعية ذات طابع تواصلية تبليغي، فإنها تحقق لأبنائها الانسجام والتفاهم، وتحمل أبعاد الرقي الحضاري على مختلف الأصعدة، وتشكّل أداة من أدوات المعرفة.

وتعتبر اللغة أهم وسائل التفاهم والاحتكاك بين أفراد المجتمع في جميع ميادين الحياة وبين اللغة والتفكير ارتباط وثيق، فأفكار الإنسان تصاغ دوماً في قالب لغوي، والاهتمام كموضوع للدرس، ومن زوايا كثيرة ومتنوعة، فكان موضوع الملكة اللغوية أساس البحث والتتقيب عند العلماء العرب، وحتى عند المفكرين الغربيين، فبحثوا في ماهيتها، وفي طرائق تحصيلها، فكان كلّ بتوجهه وبما جادت قريحته في هذا المجال، وهو ما سوف نتعرض إليه في هذا الفصل.

1. الملكة اللغوية من منظور الفكر العربي القديم

1 1 عند سيبويه (ت 180هـ)

إنّ مفهوم امتلاك اللغة كما ينقله لنا سيبويه -واضع علم النحو ليس أستاذه الخليل بن أحمد الفراهيدي- عبر مؤلفه "الكتاب" مفاده أنّ القصد من قواعد النحو ليس سلامة إعراب الكلمات أثناء تأدية الكلام، أو بالأحرى سلامة مفردات التراكيب من اللحن (هناك كلمة غير مفهومة) وإنما وجدته يتعدى ذلك بالإشارة إلى ذلك الجانب الهام الذي يجعل من تلك التراكيب التي نصوغها ذات معنى، وتؤدي مقصدها في إفادة وإفهام القارئ هو الجانب الدلالي، فيذكر لنا في باب من كتابه (هذا باب الاستقامة من الكلام والإحالة) قائلاً: "فمنه مستقيم حسن ومحال ومستقيم كذب ومستقيم قبيح وما هو محال كذب، فأما المستقيم الحسن فقولك: آتيتك أمس وسأتيتك غداً، وأما المحال فأن تنقض أول كلامك بآخره، فتقول: آتيتك غداً وسأتيتك أمس، وأما المستقيم الكذب لقولك: حملتُ الجبل وشربت ماء البحر ونحوه، وأما

المستقيم القبيح فإن تضع اللفظ في غير موضعه نحو قولك: قد زيدا رأيتُ وكي زيدا يأتيتك وأشياء هذا، وأما المحال الكذب، فإن تقول: سوف أشرب ماء البحر أمس¹ مما يعني أن تأدية التراكيب المؤلفة للكلام منطوقا كان أم مكتوبا، خاضعة إلى جانب سلامة مفرداتها للعلاقات المنطقية والدلالية، لذلك أفراد سيبويه هذه الأقسام ليبين مواضع الخطأ ومعايير الاستقامة، التي لا تتأتى بالشكل فقط وبمعزل عن الدلالة. ودليل ذلك أنها لم تكن مقتصرة على النحو فقط دون العلوم الأخرى، بل كانت شاملة لكل ما يؤدي إلى سلامة اللغة في ألفاظها من حركة وبناء، وفي تراكيب التقديم والتأخير، والذكر والحذف، وكذا في معرفة حقائقها وأسلوب الكلام على سمتها نحو وصرف وبلاغة.²

2-1 عند ابن جني (ت392هـ)

لقد انطلق ابن جني من تفسيره لمفهوم الملكة اللغوية من منطلق لغوي محض، ومن تصور منهجي خاص به، بحكم معطيات عصره؛ إذ كان موضوع السليقة الغوية من أولى الأولويات التي شغلت بال اللغويين والنحاة بالبحث آنذاك، قصد وضع قوانين وضوابط للغة العربية، باعتبارها تمثل ذلك الصفاء اللغوي الذي فطر عليه العربي؛ لذلك وجدت اللغوي ابن جني ينقل لنا تصوره لمفهوم الملكة استنادا إلى تحرياته التي أجراها مع أصحاب هذه السليقة، إذ كان حريصا على تقصي الكلام الفصيح من أفواههم، فنذكر مثلا في مقطع من كتابه حيث يقول: "وسألت الشجري يوما فقلتُ: أبا عبد الله، كيف تقول ضربتُ أخاك؟ فقال: كذلك، فقلت: أفنقول ضربتُ أخوك؟ فقال: لا أقول أخوك أبدا، فقلتُ: فكيف تقول ضربني أخوك؟ فقال: كذلك، فقلتُ: ألسن زعمت أنك لا تقول: أخوك أبدا؟ فقال: إيش هذا؟

¹. سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قدير، الكتاب، مصر، مطبعة بولاق، ط1، ص08.

². عبد الإله بنهان، ابن يعيش النحوي -دراسة- منشورات اتحاد الكتاب العرب، 1997م، ص 67 (بتصرف).

اختلفت جهتا الكلام فهو هذا في معناه إلا كقولنا نحن: صار المفعول فاعلا، وإن لم يكن اللفظ البتة، فإنه هو لا محالة...¹

3-1 عند عبد القادر الجرجاني (ت 471هـ)

كان لهذا العالم فضل كبير في الدفع بالدراسات اللغوية والأدبية إلى الأمام؛ حيث مهد لنشأة علم المعاني الذي هو أحد ركائز الدرس البلاغي، وذلك من خلال نظرية "النظم" المشهورة، ولقد جاء في مرحلة دخل فيها الدرس النحوي عند من تأخروا من النحاة في لعبة المغالاة والتفريعات والشروح المعقدة، فخرج بذلك عن الغرض الأصلي لنشوئه.

وفضلا عن فضله كعلم من علوم البلاغة، حاول الجرجاني عبر نظريته إعادة تلك اللحمة بين هذين العلمين، ومن ثم يقدم لنا مفهوما للملكة اللغوية على أساس النظم؛ أي أن صاحب الملكة اللغوية هو من يمتلك القدرة على توحي معاني النحو في تركيب وتأليف كلامه؛ إذ "ليس الغرض بنظم الكلام إن توالى ألفاظها في النطق، بل إن تناسقت دلالتها وتلاققت معانيها على الوجه الذي اقتضاه العقل..."²

ويضيف قائلا: "فلا نقول أن الاستعمال اللغوي صحيح أو خاطئ لأنه يطابق أو

يخالف التركيب النحوي"

من خلال ما سبق يتضح لنا أن الجرجاني يؤكد بمكانة القصد الذي يريده المتكلم من وراء نظمه لذلك الكلام، وبه يتحدد جانب الخطأ والصواب فيه، وبالتالي يكون علم النحو تابعا لموضوع علم الدلالة.

¹. عبد الإله نبهان، المرجع السابق، ص 68.

². عبد القادر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تح: السيد محمود رشيد رضا، بيروت: 1976، دار المعرفة، ص 41.

2. الملكة اللغوية من منظور الفكر الحديث

لقد تمكنت الدراسات الحديثة والمعاصرة من تحليل مفهوم الملكة اللغوية وفق تفكير علمي مؤسس، يعكس ما وصل إليه التفكير الإنساني في مجال البحث اللغوي بمختلف اتجاهاته، فاستخدمت عدة مصطلحات للتعبير عن مفهوم الملكة والتعريف بها.

ولقد تطرق علماء اللغة العرب والغربيون إلى مفهوم الملكة اللغوية، وسنكتفي بذكر بعض النماذج منها عند كلا الجانبين العربي والغربي نظرا لكثرة الدراسات المتشعبة في هذا المجال.

2.1 الملكة اللغوية عند علماء اللغة العرب

2.1.1 عبد الرحمن الحاج صالح

يربط عبد الرحمن الحاج صالح مفهوم الملكة اللغوية بذلك الجانب الباطني اللاشعوري لدى المتكلم والمكوّن لنظام لغته، فيشرح ذلك بقوله: "... ذلك النظام الذي اكتسبه المتكلمون على شكل مُثَلّ وحدود إجرائية، وهو لا يشعرون شعورا واضحا لوجودها وكيفية ضبطها لسلوكهم اللغوي، إلا إذا تأملوه، وإن كان هذا التأمل لا يفيدهم شيئا؛ إذ هو مجرد استبطان وإحكامهم للعمليات التي تنبني على تلك المثل، هو الذي يسمى الملكة اللغوية..."¹ فصاحب اللغة حين يتكلم لا يحس بتلك العمليات الباطنية التي سماها بالمثل والحدود الإجرائية، إلا إذا قصدتها بالتأمل.

لذلك؛ فالحاج صالح يجعل هذه المثل "وسيلة من وسائل اكتساب نظام اللغة في شكلها الفردي (الكلام) عن طريق العمليات التي لا يشعرها المتكلم، ولكن يشعر نتائجها"² لذلك أجده يصف هذه القدرة اللغوية بالفعل المحكم؛ حيث يتجلى ذلك أثناء إنجاز الكلام دون شعور

¹. أوريدة قرچ، مستوى التّحصيل اللغوي عند الطلبة من خلال مذكرات التخرج- موضوعات النحو أنموذجا، ص 15.

². المرجع نفسه، ص 16.

مسبق من المتكلم "... فمعرفة المتخاطبين لأوضاع اللغة التي يتخاطبان بها، هي معرفة عملية غير نظرية ارتسمت أنماطها، ورسخت في نظامه العصبي المركزي منه والخارجي، فاستطاع بذلك أن يحكم أفعاله..."¹

وعلى هذا الأساس يفرق الحاج صالح بين نوعين من المعلومات اللغوية، والتي تأتي عليه الملكة اللغوية في هياتين مختلفتين:

النوع الأول: تكون فيه الملكة اللغوية في هيئة عفوية؛ أي مكتسبة بقوة الفطرة عند المتكلم، تخص المتكلم كمتكلم، والمخاطب كمخاطب، ومعنى ذلك أنها راجعة إلى الملكة اللغوية التي اكتسبها الإنسان، ... فكل إنسان مفطور على تلك الجبلة"² ومن ثمة فإن هذا النوع -حسبه- يمثل ذلك الجانب الذي تتجلى فيه الممارسة اللغوية المحكمة لدى المتكلم.

النوع الثاني: تكون فيه الملكة اللغوية في هيئة نظرية، حيث يُنظر إليها كموضوع للدرس والبحث في أسرارها وقضاياها المختلفة، ويقوم بهذا الدور متخصص في هذا المجال وهو اللساني، وهذا الأخير في نظر الحاج صالح تكون " معرفته لظاهرة اللسان... معرفة علمية محضّة، وهي غير ملكته اللغوية التي اكتسبها مثل أي إنسان آخر في اللغة التي يحكمها، وليست هذه المعرفة إذا من قبيل الأفعال المحكمة التي يسلم الكلام من الخطأ واللحن، بل هي من قبيل النظرية البحثية"³

ومن خلال هذا التحليل الذي قدّمه الحاج صالح حول قضية الملكة اللغوية وفق معطيات عصرنا الحالي، ألاحظ أنّه يعود بنا إلى نفس الاستنتاج الذي توصل إليه ابن خلدون في عصره منذ قرون خلت، وهذا حين أجرى فرقا بين من يجيد صناعة قوانين الملكة ولا يتقنها ممارسة كحال جهابذة النحو والمهرة في صناعة العربية على حد قوله، وبين من

¹. أوريدة قرج، المرجع السابق، ص16.

². المرجع نفسه، ص16.

³. المرجع نفسه، ص17.

يجيدها نظماً ونثراً، ويحكمها عملاً وهو جاهل بقوانينها، وهم غالباً أعراب البوادي¹ وكذلك الحال في وقتنا هذا بالنسبة للإنسان العادي الذي ينشأ متمكناً من لغة محيطه وبين الباحث اللغوي أو اللساني الذي يبحث في آليات وأسرار تلك الملكة، والعلاقات التي تحكمها، لكن دون أن يتبعها - في غالب الحالات - بتمثيل فعلي لها على مستوى التطبيق.

2.1.2 عبد القادر الفاسي الفهري

يفسر لنا عبد القادر الفاسي الفهري تصوره لمفهوم الملكة اللغوية انطلاقاً من ربطها بذلك المخزون الذي يمتلكه المتكلم في ذهنه، ولا يشعر به، وهذا عند حديثه عن المتكلم الذي يتكلم بلغته الطبيعية قائلاً: "كلّ متكلم للغة طبيعية قد قر قراره على مخزون ذاكري غير واع، يُجلى معرفته لتلك اللغة وملكته فيها، وهذا المخزون عبارة عن معجم ذهني يمثل الثروة المفرداتية المخزنة، وجهازاً قواعدياً نشيطاً يرسم أسس تأليف هذه الأبجدية"² إذ يشير إلى ذلك المصدر الذي يجمع ثروة المتكلم اللغوية، والمسؤول عن امتلاكه لتلك الملكة اللغوية، وهذا دون وعي مسبق للمتكلم بها.

أما عند حديثه عن المتعلم الذي يسعى إلى اكتساب الملكة اللغوية بالتعلم، والقصد هنا تعلم لغة أخرى وإضافتها إلى رصيده اللغوي حتى يمتلك تلك الآليات اللغوية والأدوات الخاصة بتلك اللغة.

وقد عبر عن ذلك بقوله: "وكل متعلم للغة يتزود عادة بأدوات لغوية صناعية ضمّنها قاموس يُعيّنه على تمثّل معاني المفردات وصيغها وأصواتها وكذلك قواعد نحوية وصرفية تعيد إلى ذهنه طرق (طرائق) تأليف الوحدات المعجمية"³ فالمتكلم هنا على حد تعبير الفهري

¹. أوريدة قرچ، المرجع السابق، ص 17.

². المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

³. المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

يتوسل في امتلاك تلك اللغة الوسائل التي تعينه على تحصيلها كالقواميس التي تحوي المادة الإفرادية الخاصة به، فعندئذ يتمكن من تمثيل ما يريد تبليغه بها.

2.1.3 تمام حسان

لقد عالج تمام حسان قضية اكتساب الملكة اللغوية من خلال كتابه (اللغة العربية بين الوصفية والمعيارية) منتهجاً في ذلك المنهج السياقي الاجتماعي، الذي ينظر إلى اللغة من المنظور الاجتماعي، ويتمثل رأي تمام حسان في أن المتكلم صاحب لغة، وهذه الأخيرة محاطة بسياج اجتماعي يتضمن العادات والقوانين العرفية المتفق عليها، ويوضح لنا علاقة امتلاك المتكلم للملكة اللغوية من خلال تواصله مع مجتمعه كفرد من أفراد.

إذ تمثل اللغة على حد تعبيره: "الأداة الوحيدة التي تمكن الفرد من الدخول في نطاق المجتمع الذي يعيش فيه، ولولا هذه اللغة لظل حبيس العزلة الاجتماعية... فالمتكلم الذي يستعمل لغة المجتمع الذي نشأ فيه يستعمل أصواتها، وصيغها، ومفرداتها، وتراكيبها حسب أصول استعمال يحذقها بالمشاركة في التخاطب ويمرّن عليها، ويطابقها دون تفكير في جملتها أو تفصيلها..."¹

ومعنى ذلك أنّ العرف الاجتماعي هو المسؤول عن تكون هذه اللغة لدى المتكلم من خلال تمرنه على استعمالها وفق العرف اللغوي الذي حددته الجماعة؛ بحيث يحدث كل هذا دون أن يسأل المتكلم نفسه عن سبب أدائه للغة على تلك الطريقة.

وبذلك يكون هذا الاتجاه الذي تبناه تمام حسان شبيهاً في منهجه بما نادى به نظرية الجرجاني التي تدعو إلى ضرورة الاهتمام بالسياق اللغوي لفهم المقصود وراء الرسالة.

¹. أوريدة قرج، المرجع السابق، ص18.

2.2 عند علماء اللغة الغرب

2.2.1 فردينان دي سوسير (F.De Saussure)

يُعد دي سوسير كما هو معروف في عرف الدراسات اللسانية المؤسس الأول للنظرية اللغوية القائمة على دراسة اللغة الإنسانية دراسة علمية موضوعية، فهي موضوع الدرس، تدرس في ذاتها ولذاتها بمعزل عن أي مقصد أو غرض خارجي.

ولقد لخص نظريته هذه من خلال إخضاعها لما يسمى بالتقابلات بين المفاهيم أو ما يسمى بثنائيات اللغة، وهذا بعد فهم ووعي عميقين بالظاهرة اللسانية، من بين تلك التقابلات التي توضح وجهة نظره للملكة اللغوية لدى المتكلم، هو أنه ربط استعمال اللغة بالمؤسسة الاجتماعية كشرط من شروط امتلاك الفرد لهذه الملكة، أو على حد اصطلاحه (ملكة الكلام المقطع) وهي القدرة أو ذلك الاستعداد الذي يؤهل الفرد لاستعمال اللغة؛ حيث يقول: "يوجد لدى كل فرد ملكة يمكن أن تطلق عليها اسم ملكة الكلام المقطع... وتقوم هذه الملكة على أعضاء ثم على ما يمكن أن نحصل عليه من عملها..."¹ فهو يشترط في مواصفات هذه الملكة سلامة تأديتها أثناء النطق بها، لكنها في نظره تبقى ناقصة إذا كانت مقتصرة على الفرد وحده دون الجماعة؛ إذ يحدث التكامل بممارسة واستعمال اللغة في إطار ما تواضع عليه العرف الاجتماعي، كون اللغة ظاهرة اجتماعية، فإذا لم يحدث التواصل مع الطرف الآخر، لا يمكن لهذه الملكة أن تكتمل لأنها "... في الآن نفسه نتاج اجتماعي لملكة الكلام ومجموعة من المواصفات يتبناها الكيان الاجتماعي ليتمكن الأفراد من ممارسة هذه الملكة..."² وعليه فإن اللغة من هذا المنظور هو تطبيق الفرد لملكة الكلام من خلال المواضعة الاجتماعية، وفي ذلك إقرار جماعي بامتلاك الفرد لتلك الملكة.

¹. أوريدة قرچ، المرجع السابق، ص18.

². المرجع نفسه، ص18.

2.2.2 عند نعوم تشومسكي (Naom Chomesky)

أسهم هذا العالم في الدفع بحركة الدراسات اللغوية إلى التطور من خلال اكتشافه لآليات اشتغال هذه الملكة اللغوية، وهذا على ضوء هديه إلى ابتكار نظرية جديدة لاستكمال النقائص التي لاحظها في الاتجاهات اللسانية السابقة؛ حيث تقوم ركيزة هذه النظرية على أساس التوليد والتحويل، وبالتالي انطلق في تفسيره لمفهوم الملكة اللغوية من منطلقين:

المنطلق الأول: باعتبارها كفاءة لغوية عند المتكلم (La Compétence)

ويعني هنا المتكلم النموذجي أو المثالي، الذي يمتلك معرفة ضمنية لقواعد لغته؛ أي أنه يوظف قواعد لغته بطريقة لا شعورية، وهي كذلك "تلك القدرة التي يمتلكها كل فرد من أفراد مجتمع معين، بحيث تمكنه في المناسبات المختلفة من التعبير عما يريد بجمل نحوية جديدة لم يسمعها قط من قبل، ويسمي هذه الملكة بالمعرفة اللغوية، ويعتقد بأن أهم مقومات هذه القدرة، هي معرفة الفرد بالقواعد الصرفية، والنحوية التي تربط المفردات بعضها ببعض في الجملة، بالإضافة إلى مجموعة أخرى من القواعد أطلق عليها اسم القواعد التحويلية، حيث يتمكن الفرد من توليد الجمل الصحيحة والمقبولة في لغة معينة...¹ فتشومسكي ينبهنا هنا إلى ذلك الجانب الإبداعي الخلاق في لغة الإنسان، والذي يمنحها المرونة في مختلف الاستعمالات التواصلية اليومية.

المنطلق الثاني: باعتبارها إنجازا فعليا (La Performance)

وهو الأداء الكلامي للمتكلم أين يظهر تلك القدرة من خلال ما ينطق به فعلا، أو بتعبير أدق، هو الاستعمال الآني للغة ضمن سياق معين؛ حيث يعود متكلم اللغة بصورة طبيعية إلى القواعد الكامنة ضمن كفاءته اللغوية² وبالتالي تحقق هذه الكفاءة اللسانية عمليا في

¹. أوريدة قرج، المرجع السابق، ص19.

². المرجع نفسه، ص20.

المواقف التواصلية، إلا أنه لا يمكن لهذه الكفاءة أن تتجسد كلية في الواقع الاستعمالي للمتكلمين؛ إذ يشير (ميشال زكريا) إلى أنه هذا الأداء الذي نفترضه يعكس مباشرة كفايته اللغوية السليمة بمفهومها المثالي، لا يسلم في الواقع اللغوي من الانحرافات عن القواعد¹ ذلك أن الأداء اللغوي في نظر تشومسكي تتجاذبه عوامل متعددة بفعل الظروف الخارجية قد تحول دون بروزه بوجهه الكلي، منها مثلاً ما يتجلى أمام أعيننا في الواقع الاستعمالي من تنوع وتداخل لغوي في المجتمع الواحد، أو ما يعرف بالثنائية اللغوية أو الازدواجية اللغوية. وبالتالي فإن الكفاءة الضمنية للمتكلم تبقى في أغلبها كفاءة نظرية تجريدية لا علاقة لها بالواقع الفعلي لمستعمل اللغة من حيث الصواب والخطأ فيها.

¹. أوريدة قرح، المرجع السابق، الصفحة نفسها.



الفصل الثاني

مقاربة بين 'ابن خلدون' و'مالك بن نبي' في
الملكة اللغوية

أولاً: الملكة اللغوية عند ابن خلدون

ثانياً: الملكة اللغوية عند مالك بن نبي

ثالثاً: أوجه التشابه والاختلاف بين 'ابن خلدون'

و'مالك بن نبي'



إنّ اللغة باعتبارها ظاهرة اجتماعية، ذات طابع تواصلية تبليغي، فإنها تحقق لأبنائها الانسجام والتفاهم، وتحمل أبعاد الرقي الحضاري على مختلف الأصعدة، وتشكل أداة من أدوات المعرفة، فهي أهم وسائل التفاهم والاحتكاك بين أفراد المجتمع في جميع ميادين الحياة فتربط اللغة بالتفكير ارتباطاً وثيقاً.

فأفكار الإنسان تصاغ دائماً في قالب لغوي، ويتم الاهتمام بها كموضوع للدرس ومن عدة زوايا مختلفة، فكانت موضوع الملكة اللغوية وأساس البحث والتنقيب عند علماء العرب والمفكرين الغربيين.

أولاً: الملكة اللغوية عند ابن خلدون

1. نبذة عن حياة ابن خلدون

هو العلامة أبو زيد ولي الدين عبد الرحمن بن محمد بن الحسن بن محمد بن جابر بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن عبد الرحيم الحضرمي من ولد وائل حجر الاشبيلي الأصل، التونسي القاهري المالكي، ولقبه الدين، وشهرته ابن خلدون ولد في أول رمضان سنة اثنين وثلاثين وسبع مائة بتونس.¹

يتّضح مما سبق أنه قد اكتسب كنية "أبي زيد" من اسم ابنه الأكبر حسب ما جرت عليه عادة العرب في الكنية في مصر، وأمّا اشتهاره بابن خلدون، فذلك راجع لنسبه إلى جده خالد بن عثمان، وهو أول من دخل هذه الأسرة بلاد الأندلس واشتهر فيما بعد باسم ابن خلدون وفقاً للطريقة التي جرى عليها حينئذ أهل الأندلس والمغرب؛ حيث كانوا يضيفون إلى الأعلام واوا ونونا للدلالة على التعظيم مثل: خلدون، زيدون، حمدون... حيث ذكر العلامة "ابن حزم" في كتابه (جمهرة أنساب العرب) أن أسرة "ابن خلدون" ترجع إلى أصل يمانى

¹. ينظر: ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر، تاريخ ابن خلدون، دط، ص08.

حضرمي، وأن نسبها في الإسلام يرجع إلى "وائل بن حجر" وهو صحابي معروف يروي عن الرسول صلى الله عليه وسلم، نحو سبعين حديثاً.¹

وهذا ما أعده "ابن خلدون" في كتابه (التعريف) نسبنا حضر موت من عرب اليمن الأوائل بن حُجر من أقبال العرب.²

حفظ القرآن والشاطبين، ومختصر "ابن الحاجب" الفرعي والتسهيل في النحو والمعلقات، وحماسة الأعلام، وشعر "حبيب بن أوس" وقطعة من شعر المتنبي، وسقط الزند المعري، وغيرها.

كما قرأ الكتب الكثيرة على مشايخ عصره، وقرأ القراءات السبع، وسمع الحديث، واعتنى بالأدب وأمور الكتابة والخط، وأخذ ذلك عن أبيه وغيره، كأبي سعيد البراذعي، والواديائي، وأبي الشواس الزواوي، وابن القصار/ العلاء الاشبيلي، وعبد المهيمن الحضرمي، ومحمد بن إبراهيم الآبلي.³

ولد ابن خلدون في تونس عام 1332م (732هـ) بالدار الكاتبة بنهج تربة الباي رقم 34، وترعرع في أسرة العلم والأدب، فقد حفظ القرآن الكريم في طفولته على يد الأستاذ أبي عبد الله محمد بن سعد بن برال بالقراءات السبع، إفراداً وجمعا في إحدى وعشرين ختمة، ثم جمعها في ختمة واحدة، ثم قرأ برواية يعقوب.

¹. ينظر: محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي، جمهرة أنساب العرب، تح: عبد السلام محمد هارون، القاهرة: 1982م، دار المعارف، ص460-461.

². عبد الرحمن ابن خلدون، المعرف بابن خلدون ورحلته شرقا وغربا، بيروت: 1979م، دار الكتاب اللبناني، ص09.

³. ينظر: ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر، ص08.

كما حفظ الشعر، وأخذ العلوم اللسانية من نحو، وصرف، وبلاغة، وأدب، وتتمثل مكانته الاجتماعية على يد أفضل المدرسين في المغرب الكبير.¹

شغل أجداده في الأندلس وتونس مناصب سياسية ودينية مهمة، وكانوا أهل جاه ونفوذ، نزح أهله من الأندلس في منتصف القرن السابع الهجري، وتوجهوا إلى تونس، وكان قدوم عائلته إلى تونس خلال حكم دولة الحفصيين.²

يعتبر ابن خلدون أحد العلماء الذين تفخر بهم الحضارة الإسلامية، فهو مؤسس علم الاجتماع، وأول من وضعه على أسسه الحديثة، وقد توصل إلى نظريات باهرة في هذا العلم حول قوانين العمران، ونظرية العصبية، وبناء الدولة وأطوار عمارها وسقوطها.

كما اهتم بالعلوم الأخرى، كعلم الاقتصاد؛ حيث قام بدراسة الأساليب الإنتاجية التي تعاقبت على المجتمعات البشرية، وانتقال هذه الأخيرة من البداوة إلى الحضارة، ويعتبر ابن خلدون من أوائل العلماء الذين أشاروا إلى الشبه بين القردة والإنسان.³ ثم نظر إلى عالم التكوين كيف ابتدأ من المعادن ثم النبات ثم الحيوان على هيئة بديعة من التدرج.

كما اهتم بالفلسفة؛ حيث امتاز ابن خلدون بسعة اطلاعه على ما كتبه القدامى على أحوال البشر، وقدرته على استعراض الآراء ونقدها، ودقة الملاحظة مع الحرية في التفكير، كما له مساهمة فعالة في علم التربية.⁴

كان ابن خلدون دبلوماسيا حكيما أيضا، وقد أرسل في أكثر من وظيفة دبلوماسية لحل النزاعات بين زعماء الدول، مثلا عينه السلطان (محمد بن الأحمر) سفيرا له إلى أمير "قشتالة" للتواصل لعقد صلح بينهما، وكان صديقا مقربا لوزيره "لسان الدين ابن الخطيب"

¹. محمد العبد، الملكة اللسانية في نظر ابن خلدون، القاهرة: 1979م، عالم الكتب، دط، ص12.

². ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر، ص08.

³. ساطح الحصري، دراسات عن مقدمة ابن خلدون، بيروت: 1967م، دار الكاتب العربي، ص90.

⁴. المرجع نفسه، ص90.

وكان وزيراً لدى "أبي عبد الله الحفصي" سلطان بجاية، وكان مقرباً من السلطان "أبي عنان المريني" قبل أن يسعى بينهما الوشاة.

وبعد ذلك بأعوام استعان به أهل دمشق لطلب الأمان من الحاكم المغربي (القاسي تيمور لنك) وتم اللقاء بينهما، ووصف ابن خلدون اللقاء في مذكراته؛ إذ يصف ما رآه من طباع الطاغية ووحشيتها في التعامل مع المدن التي يفتحها، ويقدم تقييماً متميزاً لكل ما شاهد في رسالة خطها لملك المغرب، الخصال الإسلامية لشخصية ابن خلدون وأسلوبه الحكيم في التعامل مع "تيمور لنك"¹

رحل ابن خلدون بعلمه إلى مدينة بسكرة؛ حيث تزوج هناك، ثم توجه عام 1356م إلى فاس أين ضمه "أبو عنان المريني" إلى مجلسه العلمي واستعمله ليتولى الكتابة مؤرخاً لعهدِهِ وما به من أحداث.

قدر لابن خلدون رحيل آخر عام 1363م إلى غرناطة ومن ثم إلى إشبيلية ليعود بعد ذلك لبلاد المغرب، فوصل إلى قلعة "ابن سلامة" فأقام بها أربعة أعوام، وسرع في تأليف كتاب "العبر" وأكبر كتاباته بتونس، ثم رفع نسخة من كتابه لسلطان تونس، ملحقاً إياها بطلب الرحيل إلى أرض الحجاز لأداء فريضة الحج، ووجد ابن خلدون سفينة تستعد للعودة إلى الإسكندرية فركبها، وتوجه إلى القاهرة أين قضى بقية حياته، وتولى هناك القضاء المالكي بمصر بوصفه فقيهاً متميزاً، خاصة أنه سليل المدرسة الزيتونية العريقة.

عدّد المؤرخون لابن خلدون عدداً من المصنفات في التاريخ والحساب والمنطق، غير أن أشهر كتبه كتاب بعنوان "العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم ومن ذوي السلطان الأكبر" وتشغل من هذا الكتاب ثلثه، وهي عبارة عن مدخل

¹. ينظر: ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر، ص15.

موسع لهذا الكتاب وفيها يتحدث ابن خلدون ويؤصل لآرائه في الجغرافيا والعمران والفلك وأحوال البشر وطبائعهم.¹

دخل القاهرة واستوطن فيها، وتصدر بجامع الأزهر، ثم ولاء الملك "الظاهر بقرق" قاضي القضاة المالكية بديار مصر سنة 786 هـ المرة الأولى، ومات وهو قاض في شهر رمضان سنة 805 هـ.²

أما في ما يتعلق بالعلوم الشرعية من التفسير والحديث فقد درسهم وفق المذهب المالكي الذي كان ولازال المذهب السائد في المغرب، وقد عني ابن خلدون بذكر أسماء معلميه وأساتذته في مختلف البحوث؛ حيث وصف مناصبهم ومكانتهم في علومهم ومؤلفاتهم، ومنهم الشيخ أبو شرح مُسَوِّق على كتاب التسهيل من بينهم نذكر: أبو العباس أحمد قصار إمام العربية، وأبو عبد الله محمد بن بكر.

تعلق ابن خلدون بالختم السلطانية، وولي كتابه "العلامة" عن صاحب تونس، ثم توجه في سنة 753 هـ إلى فاس، فوقع بين يدي سلطانها أبي عنان، كما امتحن واعتقل نحو عامين، ثم ولي كتابة "السر" لأبي سالم أبي عنان، وكذا النظر في المظالم، بعدها دخل الأندلس فقدم غرناطة في أوائل ربيع الأول سنة 759 هـ وتلقاها سلطانها ابن الأحمر عند قدومه ونُظِّمَه عند في أهل مجلسه، وكان رسوله إلى عظيم الفرنج بإشبيلية، فعظمه وأكرمه وحمله، وقام بالأمر الذي ندب إليه، لاحقا نزح إلى تلمسان باستدعاء صاحبها، وأقام بوادي العرب مدة، ثم توجه من بسكرة إلى فاس، فنهب في الطريق، ومات صاحبها قبل قدومه،

¹. ساطع الحصري، المرجع السابق، ص97.

². ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر، ص8.

ومع ذلك أقام بها قدر سنتين ليتوجه بعدها إلى الأندلس، ثم رجع إلى تلمسان فأقام بها أربعة أعوام، كما ارتحل في رجب سنة 784هـ إلى تونس فأقام بها شعبانها إلى أن استأذن في الحج فأذن له، فاجتاز البحر إلى الإسكندرية.¹

قدم الديار المصرية في ذي القعدة سنة 784هـ فحج، ثم عاد إليها وتلقاه أهلها وأكرموه، وأكثروا ملازمته والتردد إليه، بل تصدر للإقراء بجامع الأزهر مدة ولازم هو الطنبغا الجوبابي فاعتنى به إلى أن قرره الظاهر برقوق في تدريس القمعية بمصر، ثم قضاء المالكية بالديار المصرية في جمادى الآخرة سنة 782هـ فتتكر للناس؛ بحيث لم يقد لأحد من القضاة لما دخلوا للسلام عليه، في الجملة، وفنك في كثير من أعيان الموقعين والشهود وصار يعزز بالصفح، ويسميه الزج، فإذا غضب على إنسان قال: رجّوه، فيصفع حتى تحمر رقبتة، ويقال إن أهل المغرب لما بلغهم ولايته القضاء تعجبوا ونسبوا المصريين إلى قلة المعرفة، بحيث قال ابن عرفة: "كنا نعد خطة القضاء أعظم المناصب، فلما وليها هذا عدناها بالضد من ذلك" وعُزل ثم أعيد وتكرر له ذلك حتى مات قاضيا فجأة في يوم الأربعاء سنة 788هـ عن ست وسبعين سنة، ودفن بمقابر الصوفية خارج باب النصر.²

ويمر اكتساب اللغة بمراحل عديدة، وفي ذلك يقول: الملكات لا تحصل إلا بتكرار الأفعال، لأن الفعل يقع أولا، وتعود منه لذات صفة ثم تتكرر فتكون حالا ومعنى الحال أنها صفة غير راسخة ثم يريد التكرار ملكة أي صفة راسخة.

ويركز ابن خلدون على الممارسة والتكرار خلال عملية الاكتساب فيقول: إنما تحصل هذه الملكة بالممارسة والاعتیاد والتكرار بكلام العرب، وتترسخ الملكة عبر كثرة الحفظ والاستعمال كما يقول. فتحصل له هذه الملكة بهذا الحفظ والاستعمال، وتزداد بكثرتها رسوخا وقوة، إلا أن عملية الاكتساب تبقى في نظر ابن خلدون عملية وجدانية، ودليل ذلك قوله:

¹. ابن خلدون، المرجع السابق، ص08.

². المرجع نفسه، ص08.

"وهذا الأمر وجداني حاصل بممارسة كلام العرب حتى يصير كواحد منهم، ومثاله لو فرضنا صبيا من صبيانهم نشأ وترى في جيلهم فإنه يتعلم لغتهم ويحكم شأن الإعراب والبلاغة فيها حتى يستولي على غايتها"¹

يعل ابن خلدون رأيه من حيث اللغة عملية اكتساب عند الإنسان، لأن الأفعال

الاختيارية ليس طبعاً بالإنسان، وإنما هي مكتسبة بالممارسة والمران، فخلاصة رأي ابن خلدون في المسألة أن الإنسان بغض النظر عن طبيعة اللغة التي يتكلمها بصورة طبيعية، إلا أن ذلك قد يوهم بعض الناس أنها طبع فطر عليه الإنسان والحال على غير ذلك فهي عملية يتم اكتسابها.

2. أعماله ومؤلفاته

يعتبر ابن خلدون صاحب كتاب (العبر) الذي كان يتكلم بالأصل عن تاريخ البربر، لكنه توسع لاحقاً في التركيز على التاريخ العالمي، وينقسم كتاب (العبر) إلى سبعة كتب، أولها "مقدمة" يمكن اعتبارها عملاً منفصلاً، والكتب من الثاني إلى الخامس تعطي تاريخ البشرية حتى وقت ابن خلدون، الكتابان السادس والسابع يعطيان تاريخ الشعوب البربرية والمغربية. يعد هذا العمل مصدراً مهماً للتاريخ البربري على الرغم من أن ابن خلدون في أجزاء يعتمد على مواد رديئة المصدر انتقدت أعماله التاريخية في كثير من الأحيان، لأنه لا يقدم توليفة من مصادر متعددة؛ حيث أن المؤرخين الأكثر حذراً مثل الرقيق أو المالكي يحرصون دائماً على إعطاء النصوص الأصلية قبل النطق.

كما ميز بين "الريح والقوت" وهي في الاقتصاد السياسي الحديث "الفائض والمطلوب" لإعادة إنتاج الطبقات على التوالي، كما يدعو أيضاً إلى إنشاء علم لشرح المجتمع.

¹. ميشال زكريا، قضايا ألسنية تطبيقية، بيروت: 1993، دار العلم للملايين مؤسسة ثقافية للتأليف والترجمة والنشر، ط1، ص109.

كما تولى ابن خلدون في أول حياته مهمة رسمية وكتلت إليه والتي تتمثل في كتابه العلامة المراسيم ومخاطبة السلاطين.

قام السلطان "أبو عنان" بتوجيه مهمة رسمية لابن خلدون وهي القيام بكتابة كل الأمور والأحداث التي تتعلق به، وذلك لمكانة ابن خلدون العلمية، إضافة إلى قدرته على مجالسة أهل العلم في كل المجالس والندوات التي كان يحضرها.

وجد ابن خلدون نفسه في مهنة جديدة حوالي عام (760هـ) والمتمثلة في الكتابة عن السلطان أبي سالم في النثر والإنشاء؛ وذلك إثر المساعدة التي قدمها ابن خلدون لاسترداد ملكه.

كما تولى ابن خلدون مهمة القضاء بين الناس وإقامة العدل ونصرة المظلوم، وإعطاء كل ذي حق حقه، وعمل كذلك حاجيا لأحد السلاطين المعروفين في مدينة الأندلس، حيث كانت هذه المهمة أولى المناصب التي وكتلت إليه بشكل خاص في الأندلس.

تم تعيين ابن خلدون سفيرا في مدينة المغرب، وذلك نظرا لعلاقته الطيبة مع أهلها، كما أنه كان سفيرا للسلطان أبي حمو في منطقة الداودة، لقيامه بتوطيد العلاقة بين السلطان وأهل تلك المنطقة.

تولى ابن خلدون مهمة القضاء الخاص بالمالكية في الجمهورية العربية المصرية، وعمل كذلك في التدريس لفترات طويلة؛ حيث كان مدرسا في جامع الأزهر، ومن ثم انتقل إلى مدرسة القمحية بأمر من صلاح الدين.

لقد حقق ابن خلدون العديد من الأعمال نذكر منها:

- يعد ابن خلدون واحدا من أهم وأشهر العلماء الذين توصلوا إلى فكرة الشبه الكبير

بين الناس والفرد؛ حيث وصف هذا الشبه في كتابه مقدمة ابن خلدون.

- كان ابن خلدون من أوائل العلماء الذين توصلوا إلى أن فكرة ومفهوم الفلسفة تم

استحداثه من مبدأ انتشار العمران.

- قدم ابن خلدون إسهامات واضحة ومميزة في علم التربية الذي لم يكن يعرف في زمانه كعلم مستقل، ومن أهم تلك الإسهامات انه توصل إلى فكرة أن العلم بالأساس ينقسم إلى قسمين هما: علم نقلي وعلم عقلي، كما أنه وضح أنه تدرج في مبدأ التعليم وأساسياته.
- تاريخ ابن خلدون واسمه: كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في معرفة أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر.
- لباب المحصل في أصول الدين.
- التعريف بابن خلدون ورحلاته شرقا وغربا.
- تعاقب دوري في تفسير التاريخ.
- نظرية العصبية.

3. نظريته للملكة اللغوية

انطلق ابن خلدون في بناء تصوره لمفهوم الملكة اللغوية من منطلق اجتماعي، مستندا إلى خبرته الواسعة وتجاربه الحياتية الناتجة عن تنقلاته الكثيرة بين المغرب والأندلس ومصر وغيرها من الأصقاع الأخرى، واضطلاعه الواسع بعلوم العربية والعلوم الأخرى كالتاريخ والفلسفة والمنطق، ولقد ورد مصطلح الملكة عي عدة فصول منه، حيث بيّن لنا ماهيتها وكيفية حصولها والعوامل المؤثرة فيها.

ومن ثم فإن الملكة اللغوية من منظوره ليست وليدة الطبع وحده كما تصوره الكثيرون وإنما هي "ملكة في نظام الكلام ، تمكنت ورسخت فظهرت في بادئ الرأي أنها جبلة وطبع"¹ ويذهب ابن خلدون في توضيح نظريته هذه إلى تبيان آلية حصول هذه الملكة ومن خلال زوايا عدة ومنها:

¹ . . عبد الرحمن ابن خلدون، المقدمة، تح: درويش جويدي، لجنة البيان العربي، بيروت: 1985م، ط2، ص561.

1. أن الملكة صفة راسخة، تنتج عن الفرد بفعل عمليات متكررة لأفعال الكلام، مصدرها السماع المستمر لأبنية الكلام الفصيح.
2. إن امتلاك اللغة والحذق فيها صناعة من الصنائع، وأي خلل يحدث فيها يؤثر بالضرورة في الصورة أو الشكل الناتج عنها، فيقول: "أعلم أن اللغات كلها شبيهة بحسب تمام الملكة أو نقصانها، وليس ذلك بالنظر إلى المفردات، وإنما بالنظر إلى التراكيب، فإذا حصلت الملكة التامة في تراكيب الألفاظ المفردة للتعبير بها على المعاني المقصودة ومراعاة التأليف الذي يطبق الكلام على مقتضى الحال بلغ المتكلم حينئذ الغاية من إفادة مقصودة للسامع".¹
- وهذا يعني أن ملكة اللغة في نظر ابن خلدون هي قدرة المتكلم على التحكم والتصرف بمفردات اللغة وتوظيف هذه الأخيرة وصياغتها على منوال حاذق ومنتقن، ونظمها في تراكيب سليمة يتحقق من خلالها مقصود المتكلم في تبليغ مراده للمستمع أو القارئ، لهذا نجده قد عرفها في موضع آخر من مقدمته قائلاً: "اعلم أن اللغة في المتعارف هي عبارة المتكلم عن مقصوده وتلك العبارة فعل لساني ناشئ عن القصد بإفادة الكلام"² أي أنه بذلك كمن يصيب عصفورين بحجر واحد، وهما صناعة التركيب وضمان المتلقي.
- ويقول ابن خلدون أيضاً: "إن صناعة العربية هي معرفة قوانين هذه الملكة ومقاييسها خاصة، فهو علم بكيفية ضمن هذا تعلم أن تلك الملكة هي غير صناعة العربية وأنها مستغنية عنها بالجملة".³
- يرى ابن خلدون أن العلم والتعليم طبيعة في العمران البشري، وذلك لتمييز الإنسان عن جميع الحيوانات بالفكر الذي يهتدي به لتحصيل معاشه، والتعاون عليه بأبناء جنسه، والاجتماع المهياً لذلك التعاون.¹

¹. عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، ص554.

². المرجع نفسه، ص558.

³. المرجع نفسه، ص481-482.

ويتضح ذلك في قوله: "اعلم أن اللغات كلها شبيهة بالصناعة؛ إذ هي ملكات في اللسان للعبارة عن المعاني وجودتها وقصورها، بحسب تمام الملكة أو نقصها، وليس ذلك بالنظر إلى المفردات، وإنما بالنظر إلى التراكيب، فإذا حصلت الملكة التامة في تراكيب الألفاظ المفردة للتعبير بها عن المعاني المقصودة، ومراعاة التأليف الذي يطبق الكلام على مقتضى الحال، بلغ المتكلم حينئذ الغاية من إفادة مقصودة للسامع..."²

وهذا يعني أن ملكة اللغة في نظره هي قدرة المتكلم على التصرف والتحكم في مفردات اللغة وصياغتها على منوال حاذق، ونظمها في تراكيب سليمة.

وفي حديثنا عن مصطلح الملكة اللغوية عند ابن خلدون نجده قد استقر على الأقل عنده بطريقة أكثر نضجا وعمقا، حيث نالت هذه القضية كما أسلفت سابقا اهتماما واضحا لديه.

ثانيا: الملكة اللغوية عند مالك بن نبي

1.نبذة عن حياة مالك بن نبي

إن الحديث عن شخصية مالك بن نبي ذات الأبعاد المختلفة والعقل المنفتح، هو حديث بذاته عن مدرسة فكرية متكاملة، جسدت الأبعاد المختلفة للفكر الإسلامي الإنساني المعاصر؛ بحيث يعتبر نتاجه الفكري المتمثل في التفسير الحضاري لعملية بناء الدولة من خلال العديد من الآليات الثقافية والتنظيمية والاقتصادية إسهاما كبيرا لمعرفة القدرة على الفعلية على التعامل مع كافة التحديات الجديدة.

وهو مالك بن الحاج عمر بن الحضري بن مصطفى بن نبي من مدينة قسنطينة في 01 جانفي 1905م نشأ في المدينة التي رحلت إليها أسرته لظروف سياسية استعمارية

¹. عبد الرحمن بن خلدون، المرجع السابق، 47.

².المرجع نفسه، ص554.

وبعد تلقيه التّعليم الابتدائي والثانوي بوطن نشأته سافر إلى باريس سنة 1930م، حيث التحق بالجامعة وأتم دراسته بها، وتخرج مهندسا كهربائيا.

كان مالك بن نبي من ألمع الطلبة في دفعته، لم يهتم بمجال تخصصه العلمي فحسب، بل درس الفلسفة، وعلم الاجتماع، والتاريخ، كما كان ميالا إلى الثقافة العربية الإسلامية التي بدأت عنده مع الشيخ عبد المجيد الذي أخذ عنه دروسا كثيرة في النحو والصرف والدين.¹

نشأ مالك في عائلة تعاني ضيقا ماليا شديدا، وربما لهذا السبب كفله عمه، ثم اضطرت زوجة عمه أن تعيده إلى والديه في تبسة، كان جده لأبيه الخضر قد هاجر إلى ليبيا (أنغة) أن يعيش تحت ظل الاستعمار الفرنسي، وأخذ معه كل ما يقدر عليه من مال بعد أن تبقى بحوزته من أملاك العائلة.²

وكانت والدته تعمل فوق طاقتها لتسد ما يريده مالك من نفقات المدرسة؛ حيث اهتمت الأسرة بتعليمه، فأرسل إلى المدرسة الحكومية (الفرنسية)، وفي نفس الوقت أرسل إلى المدرسة القديمة لتعلم القرآن الكريم، وبعد المرحلة الابتدائية لم يقبل مالك في الكلية الثانوية، فقد كان من الصعوبة على طالب من أبناء المستعمرات أن يرسل بعد الابتدائية إلى هذه المرحلة، مع أنه - كما يذكر - كان يستحق أكثر من جيد، لكن الدرجة التي هي أفضل منها أعطيت لطالب فرنسي، ولكنه حصل على منحة لمتابعة دروسه في التكميلية في قسنطينة بمدرسة "سيدي الجلي" إذ كان يحضر خلال سنة أو سنتين للدخول إلى معهد المعلمين، وبعد سنة واحدة انتقل إلى المعهد الذي سيمكث فيه أربعة سنوات، التي كانت حافلة بالقراءة والمطالعة.³

¹. جيلالي بويكر، البناء الحضاري عند مالك بن نبي، دار المعرفة، 2010م، ص17.

². محمد عبده، مالك بن نبي مفكر اجتماعي ورائد إصلاحي، ص22.

³. المرجع نفسه، ص25.

تخرّج مالك بن نبي سنة 1926م، وكما سبق أن اعترف بأنه ابن الأسرة المسعوفة المفرطة في الفقر، لذا أصبح هاجسه الذي يؤرقه هو المستقبل وحصوله على عمل يشد به أزره، ويساعد به أسرته.

بدأ بالتنقل والبحث عن أي عمل يقوم به أو أي نشاط يمارسه، وبعد جهود مضية قرر بصحبة صديق له الاتجاه إلى فرنسا، وبعد جولة زار خلالها عدة مدن فرنسية منها (باريس، ليون، مرسيليا) لم يوفق في الحصول على أي عمل فعاد إلى الجزائر.¹

بعد عودة ابن نبي من فرنسا استقر في تبسة واشتغل عونا بمحكمةها سنة 1927، ثم عين كاتباً في محكمة "أفلو" من نفس السنة، بعدها انتقل إلى محكمة "شलगوم" ليعمل بها. وأمام مضايقات الاستعمار استقال مالك بن نبي من وظيفته، واشتغل بالتجارة مع صهره وشريك ثالث، وأقاموا طاحونة ليعمل بها، إلا أنهم فشلوا فلجأوا إلى بيع المطحنة والتخلي عن المشروع.² بسبب الأزمة الاقتصادية سنة 1929م.

تلقى مالك بن نبي تعليماً مزدوجاً؛ حيث كان يدرس في المدرسة الحكومية (الفرنسية) وفي نفس الوقت كان يذهب إلى المدرسة القرآنية لتعلم القرآن الكريم (المدرسة القديمة) ولكن الفارق كان كبيراً في طرائق التعليم بين المدرستين مما جعله ينفّر من المدرسة القديمة ويتغيب عنها كثيراً، وهذا عرضه للعقاب من المعلم ومن والده، فزاده ابتعاداً عنها، واقتنع الوالد أخيراً بأن يستمر مالك في المدرسة الحكومية، وينقطع عن المدرسة القديمة.

ولكن هذين الخطين (المدرسة الفرنسية والتراث الإسلامي) سيستمران معه في الإعدادية وما بعدها، فقال: "أما في قسنطينة فقد أخذت أرى الأشياء من زاوية المجتمع

¹. أسعد السحمراني، مالك بن نبي مفكر إصلاح، بيروت: 1984م، مطبعة النفاس، ط2، ص15.

². المرجع نفسه، ص15.

والحضارة، واضعا في هذه الكلمات محتوى عربيا وأوريبيا في آن واحد" ¹ فحرص أبوه على تلقينه الثقافة الإسلامية إلى جانب دراسة الثقافة الغربية، حيث قام بتسجيله في دروس الشيخ عبد المجيد الذي كان أستاذا في المدرسة ² ويتبين لنا أنه كانت لدى مالك بن نبي في روحه قوة منتبهة، تقود كل ما يقع أمام بصره إلى اهتمام مركزي عميق، وكان الإسلام هو ذلك الاهتمام، وهو ما يفسره في قوله: "فالأجيال تتناقل رسالة ذات سري لكنها لا تقرأ بطريقة واحدة، لأن شبكة رموزها التي يعطيها التاريخ لكل جيل كما يقرأ هذه الرسالة ليست هي ذاتها." ³

عاش مالك بن نبي في عمق المجتمع الفرنسي ونظر إليه من الداخل في الوقت الذي كان الآخرون ينظرون من الخارج، فكان لزاما عليه ليس الحفاظ على الذات وعدم الذوبان فحسب، بل رفع التحدي بأفكاره. ⁴

وفي عام 1963م وصل مالك بن نبي إلى الجزائر بعد سنوات طويلة من مرحلة

الاغتراب، تولى عدة مناصب منها:

-مستشار التعليم العالي.

-مدير جامعة الجزائر.

-مدير عام للتعليم العالي.

ثم استقال من منصبه عام 1967م، ليتفرغ للعمل الفكري وتنظيم الندوات الفكرية في بيته، يحضرها أساتذة وطلبة الجامعة، كما حاضر في جميع أنحاء الجزائر، وفي سنة 1972م قام بأداء فريضة الحج في طريقه توقف في دمشق وألقى محاضرتين كان وقعا متميزا في نفوس

¹. محمد عبده، مالك بن نبي مفكر اجتماعي ورائد إصلاح، ص23.

². ينظر في: مالك بن نبي، مذكرات شاهد القرن، دمشق: 1984م، دار الفكر، ط2، ص47.

³. المرجع نفسه، ص92.

⁴. المرجع نفسه، ص40.

الحاضرين.¹ وقد حملت المحاضرتان عنوان "دور المسلم ورسالته في الثلث الأخير من القرن العشرين".

وبعد عام واحد من عودته من أداء فريضة الحج أثناء رحلته إلى مدينة الأغواط في الجزائر كان يلقي بعض المحاضرات هناك، اشتد به المرض وكان قد أصيب بسرطان البروتان في الدماغ عن طريق العمود الفقري فسافر إلى باريس للعلاج، ثم أجريت له عملية جراحية وعاد للجزائر، حتى وافته المنية عام 1973م عن عمر يناهز 68 عاماً.²

2. أعماله ومؤلفاته

بعد تخرجه من المدرسة الشاوية التي تؤهله للعمل الموازي للمعهد التعليمي في هذه الأيام، عمل كاتب عدل في المحكمة الشرعية في منطقة "أفلو"³ ثم انتقل بعدها إلى محكمة الصلح "شلغوم العيد" كان بها يوماً "تاشودان" ولم يعجبه تسلط محكمة الصلح آنذاك فقدم استقالته.

وفي فرنسا انخرط في الأحزاب السياسية، ثم أصبح رئيساً لنادي المؤتمر الجزائري الإسلامي للثقافة، ولكن الفرنسيين أغلقوه بحجة أن مالك لا يملك شهادة تدريس، وأن المكان تنقصه التهوية، وعمل بعدها في طباعة وتوزيع الكتب العلمية المبسطة، ثم انتقل إلى مصر. وفي القاهرة اتصل بالرئيس جمال عبد الناصر، وخصت له الحكومة المصرية مرتباً شهرياً مما ساعده على التفرغ للعمل الفكري،⁴ وقد عينه أنور السادات أميناً عاماً للمؤتمر

¹. نور خالد السعيد، التغيير الاجتماعي في فكر مالك بن نبي دراسة بناء نظرية اجتماعية، دار السعودية للنشر والتوزيع، 1997م، ط1، ص29.

². ينظر: نور خالد السعي، المرجع نفسه، ص30.

³. مالك بن نبي، مذكرات شاهد القرن الطفل، تر: مالك بن نبي، بيروت: 1970، ط1، ص303.

⁴. أسعد السحمراني، مالك بن نبي مفكراً إصلاحياً، ص17.

الإسلامي آنذاك ومستشاراً، ثم مديراً لجامعة الجزائر، ثم مديراً للتعليم العالي، ولكنه استقال من منصبه عام 1967م، ليتفرغ للعمل الفكري والإصلاحي.

لقد تأثر مالك بن نبي في تكوينه الفكري والثقافي والعلمي بكتابات ودراسات رواد التجديد والنهضة قبله مثل كتاب:

-الفشل الأخلاقي للسياسة الغربية في الشرق لأحمد خان.

-رسالة التوحيد للشيخ محمد عبده.

-أم القرى لعبد الرحمن الكواكبي.

كما أثار اهتمامه وشده الفكر الإصلاحي لدى الشيخ عبد الحميد بن باديس، وعندما عاد إلى الجزائر ليبدأ عمله الفكري في الترجمة، والتأليف، وليواصل تنظيم ندواته الثقافية في الجزائر المستقلة سياسياً.

كان مالك بن نبي صاحب قضية ونضال وفكر، ارتبط ببلده الجزائر كنموذج للبلدان المستعمرة، وكمثال التخلف ليقوم بدراسة تحليلية معمقة لواقع الشعوب المستعمرة المتخلفة، ولينظر في عوامل الحضارة وشروط النهضة، وليبدع ويؤلف¹.

تمكن مالك بن نبي من تأليف ما يزيد عن العشرين كتاباً ما بين سنتي 1946م و1973م وهي سنة وفاته، وتنوعت كتبه واختلفت مواضيعها وتوحدت غايتها.

كانت عناوين كتبه عن مواضيع شديدة الصلة بالحضارة، إن لم نقل هي الحضارة، حاول من خلالها طرح الإشكالية الحضارية، فتساءل عن شروط النهضة وعن المشاكل الاقتصادية والفكرية، والثقافية، والاجتماعية، والتي تكوّن مجتمعها فيما يسمى بالتخلف الحضاري، فكانت عناوين كتبه محاولات للإجابة عن تساؤلاته، ولكل تساؤل كتابه.

ونذكر من كتبه:

¹. جيلالي أبو بكر، البناء الحضاري عند مالك بن نبي، ص17-18.

- 1 للظاهرة القرآنية: أول مؤلفات مالك بن نبي أثناء إقامته في فرنسا سنة 1946م مباشرة بعد نهاية الحرب العالمية الثانية.
- 2 لبيك: صدر سنة 1947م، وهو عبارة عن قصة شاعرة.
- 3 شروط النهضة: صدر سنة 1948م، ويعد من أهم مؤلفاته تناول فيه التاريخ والحضارة.
- 4 الإسلام والديمقراطية: صدر سنة 1968م.
- 5 مذكرات شاهد القرن الجزء الثاني -الطالب- صدر ببيروت سنة 1970م.
- 6 للمسلم في عالم الاقتصاد: صدر ببيروت سنة 1972م.
- 7 دور المسلم رسالة في الثلث الأخير من القرن العشرين صدر ببيروت سنة 1973م.¹
- 8 بين الرشاد والتهيه: عبارة عن مقالات جمعت بعد وفاته.²

3. نظرته للملكة اللغوية

لا يمكن الحديث عن الثقافة في المجال العربي، وعلى مستوى الفكر الإسلامي دون التطرق إلى "مالك بن نبي" الذي شغلته قضية الثقافة الأكثر حضوراً وأهمية علة مستوى الدراسات الفكرية الإسلامية.

ويرى "ابن نبي" أن الثقافة نظرية في السلوك أكثر من أن تكون نظرية في المعرفة، وبهذا يعرف الثقافة في قوله أنها: "مجموعة من الصفات الخلقية، والقيم الاجتماعية التي تؤثر في الفرد منذ الولادة، وتصبح لاشعوريا العلاقة التي تربط سلوكه بأسلوب الحياة في الوسط الذي ولد فيه"³

¹. ابن ابراهيم الطيب، مالك بن نبي وابن خلدون مواقف وأفكار مشتركة، دار مدني، 2002م ص 46.

². عبد اللطيف عبادة، صفحات مشتركة في فكر مالك، الجزائر: 1984م، ط1، ص 37.

³. مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، تر: عبد الصبور شاهين، دمشق: 1984م، دار الفكر، ط4، ص76.

يتضح لنا من خلال هذا التعريف أن المحيط هو الذي يشكل في الفرد طباعه وشخصيته، والذي يتحرك في نطاقه الإنسان المتحضر، باعتبار المحيط هو الذي يعكس حضارة معينة، أو بتعبير آخر أن الإنسان مرتبط ارتباطا وثيقا بالمجتمع الذي يعيش فيه يؤثر فيه ويتأثر به؛ حيث يستمد منه جملة من الأفكار والطبائع، وبالخصوص اللغة التي يتفاعل ويتواصل بها مع بني جنسه.

ويرى "ابن نبي" أن الثقافة فلسفة وقيم خلقية فردية واجتماعية، تؤثر في تكوين وتنشئة الفرد منذ طفولته، بحيث تصبح نمطا لصيقا بحياته، ووشما مميزا لسلوكه، يصنع بها كل دقائق حياته وفق النمط الذي تشكل فيه.

وانطلاقا من هذا؛ فإن "ابن نبي" يرى أن هذا التعريف يضم في دفتيه فلسفة الإنسان وفلسفة الجماعة؛ أي مقومات الإنسان ومقومات المجتمع التي يستلزم انسجامها جميعا في كيان واحد".¹

وكذلك الثقافة عند "ابن نبي" صعيد من الفكر، لا صلة له بمستوى الدروس الملقنة، سواء في نوعها أو في مداها، أو في كميتها، إنها كفاءة التلقي والتعليم، إنما الذي يبقى حينما ننسى الذي تعلمناه² إنها على الأخص ما يجب أن نملكه أولا كي نتعلم.³ وبهذا فهي عنصر أساسي من عناصر البيئة⁴ لأن هذه الأخيرة تضم كل ما يتخلق بالقيم الثقافية، بحيث يمكن أن نعتبر الثقافة بمثابة البيئة متكونة من الألوان والأشكال، والحركات، والأشياء والمناظر، والصور، والأفكار المتفشية في كل اتجاه.⁵

¹. مالك بن نبي، المرجع السابق، ص74.

². عمر كامل مسقاوي، نظرات في الفكر الإسلامي -مالك بن نبي، 1965م، دار الفكر، ص42.

³. المرجع نفسه، ص42.

⁴. مالك بن نبي، آفاق جزائرية، الجزائر: 1989، مكتبة النهضة الجزائرية، ط1، ص119.

⁵. مالك بن نبي، المرجع نفسه، ص125.

يواصل "ابن نبي" حديثه عن الثقافة فيحدد فهمها في إطار التاريخ وتطبيق الثقافة كما يحددها في إطار التربية فالثقافة إذن حسب رأيه "ينبغي أن يتصل معناها بالتاريخ ولا يمكن أن نتصور تاريخا بلا ثقافة والشعب الذي يفقد حتما تاريخه.¹

والثقافة بهذا المعنى أي في اتصالها بالتاريخ في نظر "ابن نبي" هي تلك الكتابة وما تتضمنه من عادات متجانسة وعقريات متقاربة وتقاليد متكاملة وعواطف متشابهة.

واهتم "ابن نبي" بالملكة اللغوية من حيث إنها خاصية يتسم بها كل إنسان، ويعني ذلك قدرته على تحصيل اللغة وكيفية استخدامها في حياته اليومية، والقدرة على تمييزها من حيث الجودة أو الفساد، فإذا كان ابن خلدون تحدث في مقدمته عن الملكة اللغوية كصناعة، فإن "ابن نبي" قد اهتم بها كثقافة؛ لأنه اعتبر الثقافة هي العنصر الأساس في تكوين الملكة اللغوية، وتحصيل المتطلبات لدى الأفراد، فمثلا يقال: "تقف الشيء وهو سرعة التعلم" و"تقف الشيء حذفته" وقال "فلان شاب لقرن تقف" أي ذو فطنة وذكاء، والمراد أنه ثابت المعرفة بما يحتاج إليه.²

كما يقف "ابن نبي" عند نقطة أساسية مفادها أن اللغة تتعرض إلى أمراض، وهذا ما جعله يقول: "وما زاد الطين بلة في تلك الفترة أن البيئة الشعبية كان لها دور على الحياة العامة الجزائرية مجالس الكلام، فاستولى على كل فرد داء الكلام كلامه أو كلام جاره وإنه لداء قاتل"³ فيقر مالك بن نبي أن المجتمع لا يمكنه مواكبة أو مسايرة الحضارة، إلا إذا كان للفرد قدرات لغوية، أو ملكات فردية هائلة تساهم في ذلك النمو أو التطور.

كما أنه يرى بأن الحضارة ليست كل شكل من أشكال التنظيم في الحياة البشرية، ولكنها شكل وعي خاص في استعداد هذه المجتمعات النامية؛ حيث يجد هذا الشكل نوعيته

¹. مالك بن نبي، المرجع السابق، ص86.

². المرجع نفسه، ص21.

³. مالك بن نبي، مذكرات شاهد القرن، ع9، دار الفكر دمشق، 1984م، ط1، ص34.

في استعداد هذه المجتمعات لأداء وظيفة معينة، لا يكون المجتمع المتخلف في حالة تكيف معها، لا من حيث رغبته، ولا من حيث قدراته، أو بعبارة أخرى لا من حيث أفكاره ولا من حيث رسائله.¹

فالله سبحانه وتعالى خلق الناس في أحسن تقويم ليسيروا طبق سن معينة تحقق حاجاتهم البسيطة والمعقدة، لضمان بقائهم، فقدر للحيوان مجموعة من الغرائز تتكفل لضمان حياته، لكنه عز وجل فضل الإنسان بالعقل.

وخلاصة القول أن "مالك بن نبي" اهتم بالملكة اللغوية، فهو يرى أن للبيئة الدور والأثر الكبير في تكوين الملكة، فهي بمثابة الرحم للقيم الثقافية، وأن هناك أمراض الكلام التي تصيب اللسان؛ بحيث تؤدي إلى فساد الملكة أو قصورها، وعبارة أخرى يصبح استعمال اللغة غير سليم، كما اعتبر أن اللغات شبيهة بالثقافة التي تبقى عالقة بالأذهان.

¹. مالك بن نبي، مجالس دمشق، ع9، دمشق: 1984، دار الفكر، ط1، ص34.

ثالثاً: أوجه التشابه والاختلاف بين "ابن خلدون" و"مالك بن نبي"

1. أوجه التشابه

1. يتفق كل من ابن خلدون ومالك بن نبي في نقطة مفادها أن حصول الملكة يكون نفسه عند جميع البشر، فيقول ابن خلدون: "اللغات كلها ملكات بالصناعة"¹ في حين يصرح ابن نبي بقوله: "اللغات شبيهة بالثقافة التي تصبح عالقة بالأذهان"²

2. إذا كان ابن خلدون يرى أن الملكة تحصل نتيجة التكرار وهذا به في قوله "الملكات لا تحصل إلا بتكرار الأفعال لأن الفعل يقع أولاً وتعود منه للذات صفة ثم يتكرر، فتكون ملكة أي صفة راسخة."³

فإن مالك بن نبي يرى بأن تكون الملكة لدى الفرد يعود للعنصر الفعال ألا وهو البيئة فيقول: "فالبيئة بمثابة الرحم بالنسبة إلى القيم الثقافية؛ بحيث يمكن أن تعتبر الثقافة نفسها كهيئة مكونة من الألوان والأصوات والأشكال، والحركات المأنوسة، والعناصر والصور، والأفكار المتفشية في كل اتجاه."⁴

3. يتفق ابن خلدون وابن نبي في كون الملكة اللسانية تتعرض للقصور والفساد، فابن

خلدون يبرز بعض العوامل التي تؤثر في هذه الملكة منها:

- عامل الاختلاط.

- عامل العجمة.

- عامل تزامن اللغات.

أما مالك بن نبي فقد تحدث عن أمراض الكلام التي تؤدي إلى خسائر في الرصيد

اللغوي والاستغناء عن بعض الأصوات اللغوية نتيجة لهذا المرض.⁵

¹ ابن خلدون، مقدمة كتاب العبر، ص297. (بتصرف)

² ابن نبي، مجالس دمشق، دمشق: 2005م، دار الفكر، ط1، ص92.

³ المرجع نفسه، ص856.

⁴ ابن نبي، آفاق جزائرية، ص125.

⁵ المرجع نفسه، ص26.

4. يتفق ابن خلدون مع مالك بن نبي في مصطلح "الثقافة" حيث يرى بأنه مصطلح يرادف مصطلحه ألا وهو "الصناعة" فأحيانا يجمع مجموعة الصناعات بكلمة الثقافة¹ حيث يقول في هذا الصدد: "اللغات كلها ملكات شبيهة بالصناعة إذن هي ملكات في اللسان للعبارة عن المعاني وجودها وقصورها بحسب تمام الملكة أو نقصانها"²

2. أوجه الاختلاف

1. قد تطرق ابن خلدون للتمييز بين الملكة والنحو، فيقول: "في الصناعة العربية وقوانين الإعراب إنما هي معرفة قوانين هذه الملكة ومقاييسها خاصة فهي علم بكيفية لا نفس الكيفية."³ وهذا لم يظهر عند "ابن نبي" في حديثه عن الملكة.
2. إن الملاحظ عند آراء "ابن خلدون" وضعه لثنائيات منها (الملكة والطبع) إذ فرق بينهما، فنقول إن الملكة تكون قبل الطبع غير شعوري، بمعنى غير فطري شعورية ولا شعورية، من حيث الطبع غير شعوري بمعنى غير فطري ولدى الإنسان⁴، كما فرق أيضا بين (الكلام واللغة) فالكلام خاصية إنسانية وهو نشاط حي، أما اللغة خاصة جماعية، ورفق بين (الملكة والتأدية) في قوله: "الملكة هي معرفة المتكلم السامع للغة، وأما التأدية فهو الاستعمال الفعال للغة في مواقف مادية وواضحة⁵ من هنا نستنتج في هذا القول أن التأدية هي ممارسة فعلية على حد تعبير ابن خلدون على عكس ابن نبي تماما التي كانت مجمل دراسة تصب في الثقافة والبيئة لتأدية ملكة اللغة.

¹. ابن نبي، مجلس دمشق، ص92.

². ابن خلدون، مقدمة كتاب العبر، ص997.

³. ابن خلدون، المرجع نفسه ص1275. (بتصرف)

⁴. المرجع نفسه، ص1149. (بتصرف)

⁵. المرجع نفسه، ص577.

3. يرى "ابن خلدون" بأن اللغة تنشأ في مستوى التراكيب النحوية لا في مستوى المفردات اللغوية؛ أي أن تشكل الملكة اللغوية يجري الخط الأفقي للكلمات وليس في خطها العمودي¹، وبذلك اللغات كلها ملكات للتعبير عن المعاني، وبالتالي إيصال المعنى لا يتم باللفظ المفرد، يقول في كلامه: "اللغات كلها ملكات شبيهة بالصناعة إذ هي ملكات في اللسان للتعبير عن المعاني وجودتها وقصورها بحسب تمام الملكة أو نقصها، وليس ذلك بالنظر إلى المفردات وإنما بالنظر إلى التراكيب² وهذا ما لم يرد في دراسات "ابن نبي".

4. يختلف "ابن خلدون" و"مالك بن نبي" في مصطلح "الملكة" حيث عرفها الأول على أنها صناعة تكتسب بال تكرار، في حين عرفها الثاني على أنها مجموعة من القيم الثقافية التي تكون بفعل البيئة.³

4. ابن خلدون تبنى المذهب الكسبي لحصول الملكة اللسانية الذي يركز على نقطة "السماع" باعتبارها أبو الملكات اللسانية، في حين تبنى ابن نبي المذهب الطبيعي الذي يركز على أن البيئة هي المنتج الأساسي للملكة.

¹ محمد الصغير، البلاغة وعمران عند ابن خلدون، الجزائر: 1996، ديوان المطبوعات الجامعية، د ط، ص45.

² ابن خلدون، المرجع السابق، ص1140.

³ المرجع نفسه، ص546.



خاتمة

الخاتمة

احتوى البحث على دراسة ظاهرة لغوية توجد في أي مجتمع من المجتمعات، ألا وهي "الملكة اللغوية" وفي هذا الإطار كانت هذه الدراسة المتواضعة، والتي حاولنا من خلالها الوقوف على أهم ما جاء عن مفهوم الملكة اللغوية عند كل من "مالك بن نبي" و"ابن خلدون" ويعتبر هذا الأخير أول من تناول هذه الظاهرة، وقد ختمها "ابن نبي" بمفهومه المعاصر للملكة، وعليه؛ فرغم المجهود الكبير والعمل المثابر الذي بذلناه، إلا أنّ التعمق في الملكة اللغوية يفتح مجالاً من مجالات البحوث الأخرى.

ومن خلال كل ما قدمناه، يجب الوقوف على أهم النتائج المتوصل إليها لكل من "ابن خلدون" و"مالك بن نبي" والتي يمكن حوصلتها فيما يلي:

- اعتماد القدامى في دراستهم للملكة على أساليب يمكن الأخذ بها في بناء الملكة في العصر الحديث.

- تقارب دلالة لفظ "الملكة" في الاستعمال المعجمي، وكذا الاصطلاحي.

- كان "ابن خلدون" أكثر تفصيلاً وتحليلاً لهذه الملكة وعن كيفية حصولها.

- هناك تقارب بين "ابن خلدون" و"مالك بن نبي" في أخذهما للملكة إلا أن الاختلاف

الظاهر يعود إلى التكرار عند "ابن خلدون" والثقافة والحضارة عند "مالك بن نبي".

- يتفق كل من "ابن خلدون" و"مالك بن نبي" في حفظ الملكة ونقلها من جيل إلى

آخر.

- كلاهما صرح بجودة ورفعة الملكة من جهة، وفسادها من جهة أخرى.

- يتفقان في مصطلح "الثقافة" حيث أنه مصطلح يرادف مصطلحه ألا وهو الصناعة.

- اختلف "ابن خلدون" عن "مالك بن نبي" في وضع ثنائيات.



المصادر

والمراجع

أولاً- القرآن الكريم

-برواية حفص عن عاصم.

ثانياً- المعاجم العربية

- 1- جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب، ط 1، بيروت: 2000، دار الصادر، مج 14.
- 2- جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب، ط 1، بيروت: 1992، دار الصادر، مج 15.
- 3- ابن فارس، مقاييس اللغة، دط، دت، دار الفكر للطباعة والنشر، ج5.
- 4- أبو طاهر مجيد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي، قاموس المحيط، ط 8، بيروت: 2005، مكتب تحقيق التراث، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر.
- 5- محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، مختار الصحاح، دط، بيروت: 1986، مكتب لبنان.
- 6- محمد مرتضى الحسني الزبيدي، تاج العروس، ط 1، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، الكويت: 2001م، ج3.
- 7- معجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، ط4، 2005، مكتبة الشروق الدولية.

ثانياً- الكتب العربية

- 1- إبراهيم أبو شريعة، آراء المفكرين في ابن خلدون، دط، 2008.
- 2- أسعد السحمراني، مالك بن نبي، ط2، بيروت: 1984، مطبعة النفاس.

- 3- آمنة تشيكو، مفهوم الحضارة عند مالك بن نبي، ط1. دت.
- 4- جيلالي بوبكر، البناء الحضاري عند مالك بن نبي، دط، 2010، دار المعرفة.
- 5- حلمي خليل، اللغة والطفل-دراسة في ضوء علم اللغة النفسي، دط، دت.
- 6- راتب قاسم عاشور، فنون اللغة العربية- أساليب تدريسها بين النظرية والتطبيق، دط، دت.
- 7- ساطع الحصري، دراسات عن مقدمة ابن خلدون، دط، 1967.
- 8- سيبويه، الكتاب، ط1، القاهرة: 1317هـ، مطبعة بولاق.
- 9- السيد عبد السلام، التفكير اللساني في الحضارة العربية، دط، 1981، الدار العربية للكتاب.
- 10- عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، دط، الجزائر: دت، دار الهدى للطباعة والنشر.
- 11- عبد الفتاح حسن البجة، أصول تدريس العربية بين النظرية والممارسة، ط 1، عمان: 2000، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
- 12- أبو الفتح عثمان بن جني، الخصائص، ط2، دت، ج2.
- 13- أبو الفتح عثمان بن جني، المحتبس في تبیین وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، دط، القاهرة: 1994، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ج2.
- 14- عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني، دلائل الإعجاز، ط 2، بيروت: 1978، دار المعرفة.
- 15- عمر كامل مسقاوي، نظرات الفكر الإسلامي، دط، 1965، دار الفكر.

- 16- علي بن محمد بن علي الشريف الجرجاني، التعريفات، دط، بيروت: 1985، دار الكتب العلمية.
- 17- الطيب بن إبراهيم، مالك بن نبي وابن خلدون مواقف وأفكار مشتركة، 2002، دار المنى.
- 18- فهمي جدعان، نظرية التراث ودراسات عربية إسلامية، ط1، 1985.
- 19- مالك بن نبي، مذكرات شاهد القرن، ط2، دمشق: 1984، دار الفكر.
- 20- أبو نصر محمد بن محمد الفارابي، الحروف، دط، بيروت: 1970، دار المشرق.
- 21- محمد داود، العربية وعلم اللغة الحديث، دط، 2001، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع.
- 22- محمد صغير، البلاغة وال عمران عند ابن خلدون، دط، الجزائر: 1996، ديوان المطبوعات الجامعية.
- 23- محمد العبد، الملكة اللسانية في نظر ابن خلدون، دط، القاهرة: 1979.
- 24- محمد عبده، دار القلم، ط1، دمشق: 2006.
- 25- ميشال زكريا، قضايا ألسنية تطبيقية، ط1، 1993.
- 26- نور الدين خالد السعد، التغيير الاجتماعي في فكر مالك بن نبي-دراسة بناء نظرية اجتماعية، ط1، 1997، دار السعودية للنشر والتوزيع.

1- أوريدة قرچ، مستوى التحصيل اللغوي عند الطلبة موضوعات النحو أنموذجا، تيزي- وزو: 2012، جامعة مولود معمري.

رابعاً- مواقع الشابكة

1- أحلام الزغبى، أهم إنجازات وأعمال ابن خلدون: www.el3arabi.com شوهد يوم 30 يناير 2020م.

2- ابن خلدون: <http://ar.m.wikipedia.org> شوهد يوم: 02 نوفمبر 2020م.

3- من هو ابن خلدون؟ <http://www.argel.com> شوهد يوم: 01 نوفمبر 2020م.



فهرس

المحتويات

مقدمة.....(أ-ب)

الباب النظري

الفصل الأول

قراءة في مصطلح "الملكة اللغوية"

أولاً: مفهوم الملكة..... 10

1. التعريف اللغوي..... 10

2. التعريف الاصطلاحي..... 12

ثانياً: مفهوم اللغة..... 15

1. لغة..... 15

2. اصطلاحاً..... 17

ثالثاً: مفهوم الملكة اللغوية..... 23

1. من منظور الفكر العربي القديم..... 23

1.1. عند سيبويه..... 23

1.2. عند ابن جنى..... 24

1.3. عند عبد القادر الجرجاني..... 25

2. من منظور الفكر الحديث..... 26

2.1. عند علماء اللغة العرب..... 26

- 26 2.1.1. عبد الرحمن الحاج صالح
- 28 2.1.2. عبد القادر الفاسي الفهري
- 29 2.1.3. تمام حسان
- 30 2.2. عند علماء اللغة الغرب
- 30 2.2.1. فردينا ندي سوسير

الباب التطبيقي

الفصل الثاني

مقارنة بين "ابن خلدون" و"مالك بن نبي" في الملكة اللغوية

- 34 أولاً: الملكة اللغوية عند ابن خلدون
- 34 1. نبذة عن حياة ابن خلدون
- 40 2. أعماله ومؤلفاته
- 42 3. نظرتة للملكة اللغوية
- 44 ثانياً: الملكة اللغوية عند مالك بن نبي
- 44 1. نبذة عن حياته
- 48 2. أعماله ومؤلفاته
- 50 3. نظرتة للملكة اللغوية

54.....	ثالثا: أوجه التشابه والاختلاف بين "ابن خلدون" و"مالك بن نبي"
54	1. أوجه التشابه.....
55	2. أوجه الاختلاف.....
58	خاتمة.....
60	قائمة المصادر والمراجع.....
65	فهرس المحتويات.....

ملخص

تعتبر الملكة اللغوية من أهمّ الدروس التي يتناولها علماء اللّغة بالدراسة قديما وحديثا، وذلك من عدّة جوانب، ولكلّ نظرتة إليها، ونحن في بحثنا هذا حاولنا رسم صورة واضحة بيّنا فيها مقارنة وجهات النظر إلى الملكة اللّغوية بين عالّمين جليلين هما "ابن خلدون" و"مالك بن نبي" اللذان وضّحا لنا أنّه لكل إنسان ملكة يكتسبها بطرائق وآليات مختلفة، ولهذا اختلف تصوّر الملكة عند علماء اللّغة ومن بينهما العالمين السالف ذكرهما، فحاولنا إبراز نظرتيهما إلى هذه الملكة، وكيف عرّفها كل منهما، وما أبرز طرائق تحصيلها ثمّ ختمناها بأهمّ أوجه التشابه والاختلاف بينهما من خلال ما استنتجناه بفعل المقاربة بين نظرتيهما إلى هذه الملكة، فكانت أوجه الاتفاق والتقارب بحظ أكبر، واختلفا في بعض النقاط التي أوردناها في ثنايا البحث. وفي الأخير لا يمكننا أن ندّعي أننا أحطنا بالموضوع بصفة كاملة، وإنّما هو موضوع واسع يحتاج إلى مزيد من الدّراسة والبحث، لأنّه يحتوي على جوانب مختلفة لا تزال مجالا خصبا لمن أراد البحث فيها.